التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 166 السنة التاسعة عشر - سبتمبر 2021

اشتراك في التقاعد أم مُكافأة نهاية الخدمة؟

11

حقّ المرأة المُطلقة في السّكن

13

ذات يوْم على صفحة بريد القرّاء

26

موقفنا

دروس يوم الاستقلال

في بيانه بمناسبة الذكرى الخمسين لاستقلال البحرين من نير الاستعمار البريطاني، التي مرّت في الرابع عشر من الشهر الماضي، أكدّ المنبر التقدمي على أن نيل الاستقلال فتح آفاقاً جديدة أمام وطننا، كان من أهمها إقرار أول دستور وقيام أول تجربة برلمانية في تاريخنا، ولكن للأسف الشديد سرعان ما حُلّ البرلمان وعُلق العمل بمواد أساسية في الدستور، وفُرض قانون أمن الدولة الذي على أساسه شنت حملات اعتقالات متتالية نالت المناضلين الوطنيين والنقابيين والنشطاء وساد القمع وتكبيل الحريات نحو ثلاثة عقود متواصلة.

انطلاق المشروع الإصلاحي لجلالة الملك والتصويت الشعبي الساحق على ميثاق العمل الوطني، وما تلا ذلك من توسيع نطاق الحريات العامة، بما في ذلك حرية العمل الصحفي والنقابي، وتشكيل الجمعيات السياسية، بعث الآمال مجدداً في استعادة ما فقدناه من مكتسبات، ووضع بلدنا على طريق التطوّر الديمقراطي والتنمية الرشيدة واعتماد الشفافية والحوكمة أساليب في إدارة شؤون الدولة والوطن.

التطورات اللاحقة، خاصة بعد أحداث عام 2011، سرعان ما نالت من الكثير من هذه المكتسبات، وأفقدتها الكثير من محتواها، خاصة مع فرض المزيد من القيود على السلطة التشريعيّة وتقييد صلاحيات مجلس النواب، والتضييق على الحريات العامة مجدداً.

احياء الذكرى الخمسين لاستقلال وطننا، تكريم للتضحيات الكبيرة التي قدّمتها جماهير شعبنا بكافة مكوّناته من أجل نيل هذا الاستقلال وتحقيق السيادة الوطنية، وهو أيضاً مناسبة للتأكيد على أهميّة الوحدة الوطنيّة للشعب، وعلى المطالب الوطنيّة، وخاصة حرية التعبير والتنظيم، والتوسع في برنامج العقوبات البديلة وتسويّة أوضاع المعتقلين والسجناء السياسيين، وإدخال التعديلات الدّستوريّة الضّرورية التي توسع من صلاحيات السّلطة التّشريعيّة، وتتيح المشاركة الشعبيّة في صنع القرار الوطني، وتمكين مؤسسات المجتمع المدني من أداء الدور المناط بها، كما اكدّ على ذلك المنبر التقدمي في بيانه بالمناسبة.

ما ننشده جميعاً هو استقرار ونهضة وطننا وسعادة شعبنا، والدرس الأكبر المستفاد من تجاربنا السابقة، ماضياً وحاضراً، يؤكد على أهميّة مدّ جسور الحوار بين الدولة والمجتمع ممثلاً في قواه السّياسيّة وشخصياته الوطنيّة ومؤسسات مجتمعه المدني لبلوغ ذلك.

التقدمي

صياغة مشروع وطني يحفظ لكل الأطراف مواقعها السياسية عبر مدّ جسور الحوار

أصدر المنبر التقدمي بياناً حيا فيه الذكرى الخمسين لاستقلال البحرين. وأكد البيان على جملة من المطالبات الوطنية في مقدمتها إحياء الأجواء التي سادت في البحرين بعد المشروع الإصلاحي، وإطلاق الحريات وعلى رأسها حرية التعبير والتنظيم، والتوسع في برنامج العقوبات البديلة وتسوية أوضاع المعتقلين والسجناء السياسيين، وإدخال التعديلات الدستورية الضرورية التي توسع من صلاحيات السلطة التشريعية، وتتيح المشاركة الشعبية في صنع القرار الوطني، وتمكين مؤسسات المجتمع المدني من أداء الدور المناط بها»، وتابع البيان:» هذا يتطلب صياغة مشروع وطني يحفظ لكل الأطراف مواقعها السياسية، ويحقق ما ننشده جميعاً من استقرار ونهضة وتوحيد الجهود في إنجاز التنمية والحياة الكريمة للمواطنين، عبر مدّ جسور الحوار بين المعارضة المتمثلة في مختلف تكويناتها السياسية والشخصيات الوطنية بين بعضها البعض من جانب وبينها وبين الدولة من جانب آخر».

ونوه البيان بأنه:» في بداية هذه الألفية انبعث الأمل مجدداً مع انطلاق المشروع الإصلاحي لجلالة الملك والتصويت الشعبي الساحق على ميثاق العمل الوطني، وما تلا ذلك من توسيع نطاق الحريات العامة، بما في ذلك حرية العمل الصحفي والنقابي، وتشكيل الجمعيات السياسية»، لافتاً إلى أن:» التطورات اللاحقة، خاصة بعد أحداث عام 2011، سرعان ما نالت من الكثير من هذه المكتسبات، وأفقدتها الكثير من محتواها، خاصة مع فرض المزيد من القيود على السلطة التشريعية وتقييد صلاحيات مجلس النواب، والتضييق على الحريات العامة مجدداً».

وقال البيان بأن:» الاستعمار لم يكسر إرادة شعبنا، ولم يضعف من عزيمته في مواصلة النضال، حتى تحقق لوطننا استقلاله»، مشيراً إلى أن:» البحرينيون أكدوا بكافة مكوناتهم لمبعوث الأمم المتحدة، على أن تكون بلادهم دولة عربية حرة ومستقلة وذات سيادة، ورفضوا بالإجماع المطالبات الإيرانية ببلادهم، وتضافرت، في تحقيق ذلك، تضحيات شعبنا مع ميزان القوى يومها، لصالح قوى التحرر الوطني والاجتماعي في العالم العربي والعالم، حيث كانت آمال وتطلعات شعبنا مثل تطلعات كل شعوب العالم في مستقبل يؤمن الحرية والكرامة والمشاركة الشعبية في صنع القرار الوطني».

وأوضح البيان بأن:» الاستقلال الوطني فتح آفاقاً جديدة أمام وطننا، كان من أهمها إقرار أول دستور في تاريخ البحرين بمشاركة ممثلين منتخبين من الشعب، وقامت أول تجربة برلمانية، بعد الانتخابات النيابية التي جرت في السابع من ديسمبر 1973، التي استطاعت القوى الوطنية إحراز نجاحات كبيرة فيها، بفوز غالبية مرشحي كتلة الشعب المدعومة من جبهة التحرير الوطني، إضافة إلى عدد من الشخصيات الوطنية المستقلة، وشرعت الحركة العمالية في تأسيس نقاباتها»، واستدرك:» هذه التجربة التي كان يمكن أن تسفر عن تجربة ديمقراطية مهمة في البحرين والمنطقة، سرعان ما اجهضت بحلّ البرلمان وتعليق مواد أساسية في الدستور، وفرض قانون أمن الدولة الذي على أساسه شنت حملات اعتقالات متتالية نالت المناضلين الوطنيين والنقابيين والنشطاء من مختلف الاتجاهات المعارضة، حيث ساد القمع وتكبيل الحريات نحو ثلاثة عقود متواصلة».

في يومهم الدولي... شباب التقدمي:

العاطلين محبطين في ظل غياب الرؤى والخطط الواضحة التي تنهض بواقعهم

أكد قطاع الشباب والطلبة في المنبر التقدمي على أن:«التحديات والمعضلات التي تواجه الشباب تتطلب وضعها على طاولة حوار وطني لبلوغ المعالجات الصائبة والحلول الفاعلة التي من شأنها أن تصل بشبابنا إلى بر الأمان ولا تجعلهم يعانون من التهميش والاقصاء وعدم الاكتراث بطاقاتهم وامكاناتهم وقدراتهم في صنع التغيير المنشود».

وقال القطاع في بيان له بمناسبة يوم الشباب الدولي بأن:«هذه المناسبة فرصة لنعرب فيها عن كامل الاعتزاز والتقدير لشباب البحرين ونطالب بخلق البيئة المواتية والمحفزة التي توفر لهم كل السبل التي تمكنهم من شق طريقهم بعزمية وثبات وما يصبون إليه من تطلعات وأهداف تخدم المجتمع والوطن»، كما ثمن البيان:» عالياً شباب بلادنا المتفوقين والمبدعين والموهوبين في مجالات مختلفة، ومنهم الذين شكلوا قصص نجاح حية وملهمة عبر مشاريع وبرامج عدة، والتقدير موصول لشبابنا ممن لهم دور ومشاركات مختلفة وباتوا نماذج مشرّفة على أكثر من صعيد في العمل التطوعي الاجتماعي والإنساني»، بالإضافة إلى:«الذين انخرطوا في الصفوف الأمامية لمواجهة جائحة كورونا من أطباء وممرضين وعمال وموظفين وغيرهم».

وأبدى البيان قلقه من:«أعداد الشباب العاطلين عن العمل الذين اعتراهم الإحباط واليأس في ظل غياب الرؤى والخطط الواضحة التي تنهض بواقعهم وتتصدى وتعالج قضاياهم ومشكلاتهم المؤرقة وتوفر لهم فرص العمل اللائقة لهم».

وشدد البيان على:» ضرورة العمل بمنتهى الجدية من أجل تجاوز هذا الواقع وبذل المزيد من الجهود لتطوير وتحديث منظومة التشريعات المتعلقة بالشباب والسماح لهم بترك بصماتهم في حركة المجتمع وتوجهاته، وسن المزيد من القوانين التي تسهم في الارتقاء بدورهم المجتمعي والسياسي، وإزالة القيود التي تحد من ذلك وبما يعيد الحيوية بالعمل الشبابي ويبرز قيادات شبابية وطنية ناضجة وقادرة على أخذ زمام المبادرة فعلياً في كل المجالات»، وتابع:» التأكيد على دور الشباب الجدير بمكانتهم وأهليتهم وأحقيتهم في المشاركة بكل ما في معنى المشاركة من أبعاد وقيم وممارسات انطلاقاً من الإيمان بأن شباب البحرين قوى مجتمعية حاضرة وفاعلة وتشكل مستقبل الوطن وحيويته وآفاقه الرحبة والوسيلة الأساسية للتغيير والتحديث».

الذكري الثامنة لرحيل القائد الوطني علي دويغر

عندما نستذكر رفاقنا من الرواد الأوائل الراحلين لكي نتوقف أمام تلك المحطات الهامة في حياتهم و تأثيرها على واقع العمل التنظيمي والسياسي في تلك الظروف الصعبة، وكيف استطاعوا نشر الأفكار الماركسية التقدمية في واقع يعج بالأمية والتخلف والعادات والموروث التاريخي وسواها من عوامل وأسباب تعيق التغيير وولوج طرق نحو التقدم العلمي والاجتماعي في البناء.

نتذكر هؤلاء لكي يتعرف عليهم هذا الجيل والأجيال القادمة وعلى نضالاتهم وتضحياتهم، ففي السادس من سبتمبر/ أيلول 2013 رحل عنا في مدينة مالمو بالسويد القائد الوطني الرفيق علي عبدالله دويغر أحد مؤسسي جبهة التحرير الوطني، ودفن بعيداً عن وطنه وشعبه الذي أحبّه وناضل من أجله لعقود من السنين، ومن أجل البحرين حرّة وديمقراطية.

مهمات كبيرة قام بها الرفيق أبو فريد، بينها كتابة مسودة أول برنامج للجبهة الذي صدر في عام 1962 كأول وثيقة سياسية تصدر عن حزب سياسي في البحرين، تتضمن خمسة عشر هدفاً، وفي نفس العام تمّ الاتفاق مع جامعة الصداقة بين الشعوب في موسكو لإرسال طلبة بحرينيين للدراسة فيها.

كان علي دويغر يقول بأنه لا يكفي أن يكون عضو التنظيم مناضلاً صلباً، بل من المهم أيضاً أن يكون متعلماً، لكي يستطيع أن يغير ويبني ويطور. وطوال فترة ستينيات القرن الماضي أعتقل الرفيق الراحل عدة مرات، أطولها كانت أبان انتفاضة مارس 1965 المجيدة، حيث مكث في السجن أكثر من عامين ونصف، وكان آخر من تمّ إطلق سراحهم من معتقلي الانتفاضة.

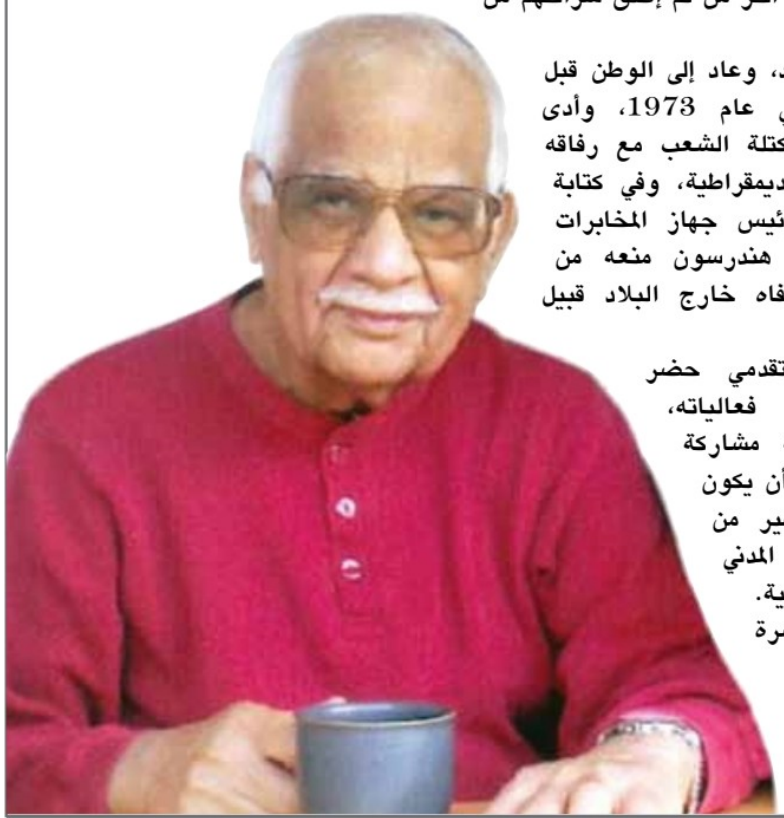

سافر للدراسة في السويد، وعاد إلى الوطن قبل انتخاب المجلس الوطني عام 1973، وأدى دوراً كبيراً في تشكيل كتلة الشعب مع رفاقه والشخصيات الوطنية الديمقراطية، وفي كتابة برنامج الكتلة، ولكن رئيس جهاز المخابرات البريطاني أنذاك آيان هندرسون منعه من الترشح للانتخابات، ونفاه خارج البلاد قبيل الانتخابات.

بعد تأسيس المنبر التقدمي حضر الرفيق الراحل بعض فعالياته، وكان يؤكد على أهميّة مشاركة التقدمي في الانتخابات وأن يكون له تواجد وسط الجماهير من خلال منظمات المجتمع المدني والنقابات العمالية والمهنية.

تظل ذكراه العطرة حاضرة لدى رفاقه وأبناء شعبه وملهمة للسائرين على دربه.

فضفضة

مجانيّة التعليم الجامعي

عيسى الدرازي

رغم إعلان إدارة جامعة البحرين بأن الرسوم الدراسية بالنسبة للطلبة البحرينيين لن تُمس أو تتغير عما كانت عليه باعتماد 8 دنانير بحرينية للساعة الأكاديمية الواحدة، إلا أن الأمر رهن توقيع إداري من شأنه أن يغير ذلك، مثلما سبق وأن أعلنت إدارة جامعة البحرين أنه إذا تجاوز الطالب المدة المحددة لتخرجه فستكون الرسوم الدراسية بسعر الكلفة، أي 80 ديناراً بحرينياً لكل ساعة معتمدة.

جمعية الشبيبة البحرينية طالبت في 2005 في ورشة عمل بمجانية التعليم الجامعي "ليتسنى لجميع المواطنين التمتع بحقهم في التعليم من دون استثناء"، كما وطالبت بتطوير جامعة البحرين ليتسنى لها استيعاب العدد الهائل من طلبتها، وفق مرافق تهيئ الطلبة للتعليم تتضمن مختبرات ومعامل حديثة تتماشى مع التطور التكنولوجي السائر في دول العالم المتقدم"، إضافة لحثها "وزارتي التربية والتعليم والعمل على وضع خطة استراتيجية مشتركة لاعتماد أنظمة تتماشى مع احتياجات سوق العمل على المدى البعيد".

وعادت في العام 2007 بالمؤتمر الموازي للقمة الشبابية وطالبت من خلال المشاركين " الدولة بالعمل على جعل التعليم العالي (الجامعي) مجانيا أسوة بالتعليم الإلزامي، وذلك تطبيقا لدستور المملكة والمواثيق الدولية التي وقعتها البحرين"، وقال حينها عضو قائمة الوحدة الطلابية طلال عبدالعزيز: "إن التعليم هو إحدى الركائز الأساسية للتحولات الديمقراطية الجارية في المجتمع البحريني"، وبين أن: "مطلب مجانية التعليم الجامعي يأتي في ظل انخفاض الأجور الذي أكدته الدراسات، مقابل الارتفاع الخيالي للأسعار، وكون التعليم والعملية التربوية من أهم متطلبات المواطن وتستهلك الجزء الأكبر من مداخيل أولياء الأمور".

جدير بالذكر أن تلك المطالبات بمجانية التعليم الجامعي لم تأت كأحلام الشباب الطموحة بل اقترنت حينها بالوفرة المالية الناتجة عن ارتفاع أسعار النفط والتي بلغت في ذلك العام أرقاماً قياسية، كانت فرصة سانحة لاستثمار تلك الوفرة في الإنسان والمواطن البحريني حيث يكمن مستقبل هذا البلد، ولكن لم تكن هناك آذان صاغية.

بناء على الاتفاقات الدولية والدستور وميثاق العمل الوطني فإن التعليم حق لكل مواطن، وبناء على العهد الدولي الذي أكدّ إلزامية التعليم ومجانيته ليس في المراحل الابتدائية فحسب، وإنما في المراحل الثانوية والتعليم العالي، فإنه لا ينبغي اعتبار مجانية التعليم ترفاً أو كماليات لا لزوم لها.

مطلب مجانية التعليم الجامعي أصبح ضرورة أكثر مما كان، ويجب على الدولة أن تتكفل به لتأمين الاستقرار الاجتماعي والتنمية البشرية، لضمان الخير لوطننا.

في وقفة تضامنية بالتعاون مع السفارة الفلسطينية

تنسيقية الجمعيات السياسية تطالب سلطات الاحتلال انهاء الاعتقال الإداري

الوزير قدري أبوبكر

السفير طه عبدالقادر

ناصر الفضالة

أشاد الوزير اللواء قدرى أبو بكر رئيس هيئة شؤون الأسرى والمحررين الفلسطينية بموقف الشعب البحرينى الداعم للقضية الفلسطينية. وحيا ما يقوم به شعب البحرين من مواقف داعمة وسريعة ومطالبتهم المستمرة للتحرك نصرة للشعب الفلسطيني والأسرى. معتبراً بأن: «مواقف أهل البحرين تنم عن عروبية أصيلة ولا غريب في ذلك لأنهم أهل وأخوة للفلسطينيين».

قدري أبو بكر: مواقف أهل البحرين تنمّ عن عروبية أصيلة

سفير فلسطين: الأسرى الفلسطينيون حوّلوا معاناتهم إلى قلعة للصمود والتصدي

ناصر الفضالة: الشعب البحريني بجميع تياراته يدعم نضالات الشعب الفلسطيني

وقال أبو بكر بأن: «هيئة شؤون الأسرى والمحررين الفلسطينية بدأت حملة تضامن بالتعاون مع الجهات المعنية لكسر القانون الجائر المتمثل بالاعتقال الإداري»، مشيراً إلى أنه:» يقبع الآن في سجون الاحتلال 550 أسيراً ضمن الاعتقال الإداري دون توجيه أي اتهام ودون محاكمة». منوهاً إلى أن: «عدد من الأسرى قرروا خوض اضرب عن الطعام للمطالبة بالأفراج عنهم".

وأمل أبو بكر من جميع الدول العربية الشقيقة الحذو حذو شعب البحرين في تضامنهم وسرعة تجاوبهم لنصرة الشعب الفلسطيني.

جاء ذلك في كلمة للوزير بثت من رام الله في الوقفة التضامنية التي أقيمت في مقر المنبر التقدمي، بتنظيم ست جمعيات سياسية، هي بالإضافة إلى التقدمي: تجمع الوحدة الوطنية، الوسط العربي الإسلامي، المنبر الوطني الإسلامي، التجمع القومي الديمقراطي، التجمع الوطني الديمقراطي الوحدوي، الصف الإسلامي، وبالتعاون مع سفارة فلسطين في مملكة البحرين، وادارتها الرفيقة دينا الأمير نائب الأمين العام للشؤون التنظيمية في المنبر التقدمي.

في كلمة اللجنة التنسيقية للجمعيات المنظمة للوقفة، شدّد عضو الأمانة العامة بالمنبر الإسلامي ناصر الفضالة على أن:" قضية الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال الصهيوني كانت ولا تزال أولوية للشعب الفلسطيني ولجميع الشعوب العربية والإسلامية والتي تدافع دوماً عن حقوقهم وتطالب بإطلاق سراحهم".

وأدان الفضالة "مواصلة سلطات الاحتلال لسياسة الاعتقال الإداري والتي تأخذ منحى تصاعدياً مما أدى إلى بروز قضية إضراب أعداد من الأسرى عن الطعام، وهي سياسة قديمة فرضتها بريطانيا لاعتقال الفلسطينيين دون محاكمة لمدة تتراوح بين شهر وستة أشهر قابلة للتجديد بدعوى أو أخرى»، وتابع:" في الوقت الذي تؤكد فيه القوانين الدولية على عدم مشروعية الاعتقال الإداري، فيما سمحت به بعض القوانين في إطار ضيق جداً ولدواع أمنية قاهرة وليس كما هو الحال بالنسبة لسلطة الاحتلال الصهيوني وقد استمرت في هذه السياسة والتصعيد منها، وتمادت هذه السلطات حين مددت بعض من تعتقلهم إدارياً لعدة سنوات تحت عدة ذرائع مختلفة دون مراعاة لأي جوانب حقوقية».

ودعا الفضالة: «المجتمع الدولي إلى اتخاذ إجراءات سريعة وجادة وفاعلة إزاء ممارسات الاحتلال الصهيوني تجاه الفلسطينيين والوضع المأساوي الذي يعيشه الأسرى داخل سجون ومعتقلات الكيان الصهيوني دون مبرر أو مسوغ قانوني»، مطالباً: «الأنظمة المطبعة مع الكيان الصهيوني إلى وقف التطبيع مع هذا الكيان المجرم".

وأكدّ الفضالة على أن الهدف الأساسي من إقامة هذه الفعالية هو أن نبعث برسالة إلى الشعب الفلسطيني الصامد وإلى العالم أجمع أن الشعب البحريني بجميع تياراته يدعم نضالات الشعب الفلسطيني وحقه في إقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشريف، ويجدد رفضه لكل أشكال التطبيع مع الكيان المحتل».

ورقة سياسية

من جانبه، اعتبر سفير دولة فلسطين طه

كوثر ميرزا: دعوة الشعوب العربيّة لمقاطعة الشركات الداعمة للكيان الصهيوني

كوثر ميرزا

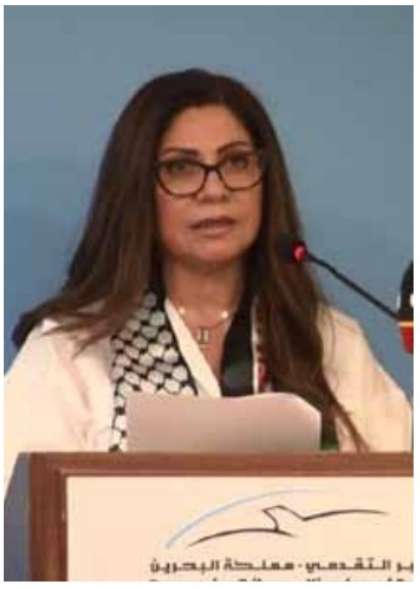
دينا الأمير

دقيقة حداد على أرواح شهداء فلسطين

عبد القادر بأن: «إسرائيل تستخدم المعتقلين كورقة سياسية للعقاب والابتزاز ومحاولة لإجهاض المقاومة»، وتابع:" بلغ عدد الفلسطينيين الذين دخلوا السجن الإسرائيلي منذ عام 1967 حتى اليوم أكثر من مليون فلسطيني، أما الآن فإن هناك ما يزيد على خمسة آلاف معتقل في "باستيلات" الاحتلال، ومنهم مرضى بأمراض مزمنة لا يتلقون العلاج المناسب، ومنهم ذوي احتياجات خاصة، كالعمى أو عدم الحركة، ومنهم نساء ومنهم أطفال».

وأوضح عبد القادر بأن: «بعض المعتقلين الفلسطينيون محكوم عليهم بالمؤبد 27 مرة وبعضهم ثلاثمئة سنة، وبعضهم يحكم عليه بالمؤبد وغرامة مالية تتجاوز نصف مليون دولار، وبعضهم يعزل في زنازين انفرادية لمدة تزيد على سنة، مثل الأخ المناضل كريم يونس المسجون منذ 40 سنة والمحكومين بعشرات المؤبدات مثل الأخوة المناضلين مروان البرغوثي، وأحمد سعدات، وفؤاد الشوبكي، وعشرات المناضلين المحكومين بالمؤبدات من كافة الفصائل الفلسطينية».

وأضاف عبدالقادر بأن:" المعتقلين الفلسطينيين حولوا معاناتهم إلى قلعة من قلاع الصمود والتصدي، فهناك يبلورون خططاً ومقترحات للخروج من الأزمات السياسية، وهناك يعقدون جلسات الدراسة والنقاش، وهناك من يطور موهبته في الكتابة أو الدراسة الجامعية، وهناك من يعلم اخوته حرفته أو ما يتميز به»، وتابع: «لم يستطع سجن الاحتلال أن يكسر إرادة المعتقلين أو ينال من معنوياتهم، بالعكس من ذلك، فإن المعتقلين الفلسطينيين يواجهون بأجسادهم سياسات الاحتلال من خلال الإضراب الجماعي والإضراب الفردي، بحيث يجبروا سلطات الاحتلال على الاستجابة لمطالبهم، ولكن هذا لم يحدث دون تضحيات»

طعنة في خاصرة الأمة

إلى ذلك، قالت عضو مجلس إدارة الجمعية البحرينية لمقاومة التطبيع مع العدو الصهيوني كوثر ميرزا: «حين نستذكر نضالات هذا الشعب المقاوم فإننا مجبرون للوقوف أمام نضالات الأسرى الفلسطينيين التي تشكل مأساتهم الإنسانية طعنة في خاصرة الأمة حيث أنها القضية الغائبة عن ألسنة المسؤولين وشاشات الإعلام خصوصا مع كل المستجدات السياسية والأمنية السريعة في المنطقة"، وحيت ميرزا نضالات الأسرى في السجون الصهيونية، وأكدت على: «حقهم في الإفراج عنهم ونيل الشعب الفلسطيني كامل حقوقه المشروعة»، ودعت «جميع حكومات المنطقة بأخذ من وقف صريح تجاه قضية العرب المركزية».

وقالت ميرزا بأن: «موجة التطبيع والاتفاقيات بكل اشكالها مرفوضة كلياً»، واصفة بأنها:» توفر الغطاء الشرعي للمحتل في كافة جرائمه»، داعية "الشعوب العربية لمقاطعة الشركات الداعمة للكيان الصهيوني ومقاطعة المنتجات الصهيونية التي تحاول التغلغل لأسواقنا المحلية خصوصا في هذه الفترة»، واعتبرت:« مقاطعة تلك المنتجات هو قطع الطريق أمام المحتل الغاشم وهو تذكير دائم له بأنه قاتل وسارق لأراضيهم ومقدسات الأمة».

بيان تضامني مع الأسرى الفلسطينيين

دعت الجمعيات السياسية المجتمع الدولي لاتخاذ إجراءات سريعة وجادة وفاعلة إزاء ممارسات الاحتلال الصهيوني تجاه الفلسطينيين والوضع المأساوي الذي يعيشه الأسرى داخل سجون ومعتقلات الكيان الصهيوني دون مبرر أو مسوغ قانوني.

وقالت الجمعيات السياسية في بيان لها بأن:» الإحصائيات الفلسطينية تكشف بأن هناك 4850 معتقلاً في السجون الإسرائيلية منهم أطفال ونساء بينهم 540 موقوفاً إدارياً وبعضهم تم تجديد الحبس الإداري له أكثر من مرة، وهو أمر مثير لقلق كبير يتعاظم بالنسبة للأسرى المضربين عن الطعام الذين تزداد أوضاعهم سوءاً يوماً بعد يوم».

وكانت الجمعيات السياسية الموقعة على البيان: المنبر التقدمي ، تجمع الوحدة الوطنية ، المنبر الوطني الإسلامي، التجمع القومي الديمقراطي ، الوسط العربي الإسلامي، الصف الإسلامي، التجمع الوطني الدستوري ، والتجمع الوطني الديمقراطي الوحدوي.

وأوضح البيان بأن:» القوانين الدولية أكدت على عدم مشروعية الاعتقال الإداري، فيما سمحت به بعض القوانين في إطار ضيق جداً ولدواع أمنية قاهرة وليس كما هو الحال بالنسبة لسلطة الاحتلال الصهيوني وقد استمرت في هذه السياسة والتصعيد منها، وتمادت هذه السلطات حين مددت بعض من تعتقلهم إدارياً لعدة سنوات تحت عدة ذرائع مختلفة دون مراعاة لأي جوانب حقوقية وإنسانية».

«كورونا» أضرّ بالمرأة بالعاملة

قالت منظمة العمل الدولية إن جائحة كورونا أضرت بالنساء أكثر من الرجال فيما يتعلق بفقد الوظائف، ومن المرجح أن يتعافى قطاع التوظيف بالنسبة للرجال فقط هذا العام ليعود إلى مستويات 2019.

وقالت المنظمة التابعة للأمم المتحدة إن «النساء أكثر عرضة للتسريح أو تقليل ساعات العمل خلال فترات القيود الاقتصادية والاجتماعية لمكافحة الجائحة لا سيما في قطاعات مثل الضيافة والخدمات الغذائية والتصنيع».

ولم تتكبد نساء كثيرات خسارة فادحة في الدخل فحسب، ولكن أيضا ما زلن يتحملن العبء الأكبر من أنشطة الرعاية غير مدفوعة الأجر.

وأضافت المنظمة «على الرغم من أن نمو الوظائف المتوقع في عام 2021 بالنسبة للنساء يفوق مثيله للرجال، إلا أنه لن يكون كافيا لإعادة النساء إلى مستويات التوظيف التي كانت سائدة قبل الجائحة».

وأوضحت أنه تم الاستغناء عن 4.2 في المئة من وظائف النساء على الصعيد العالمي بين عامي 2019 و2020 بسبب الجائحة، وهو ما يمثل انخفاضا بواقع 54 مليون وظيفة مقارنة بثلاثة في المئة من توظيف الرجال.

وأشارت إلى أنه من المتوقع أن يكون عدد النساء العاملات في 2021 أقل بواقع 13 مليونا عن عام 2019، بينما من المتوقع أن يكون عدد الرجال العاملين هو نفس ما كان عليه في 2019.

وكالات - 20 يوليو 2021

حظر التمييز في الأجور

أكدّ وزير العمل والتنمية الاجتماعية أن المرسوم بقانون رقم (16) لسنة 2021 بتعديل بعض أحكام قانون العمل في القطاع الأهلي رقم (36) لسنة 2012، والتي تنص على (حظر التمييز في الأجور بين العمال والعاملات في العمل ذي القيمة المتساوية)، يعكس حرصاً على ترسيخ مبدأ المساواة وحفظ حقوق جميع العمال دون تمييز وهو النهج الذي كانت وما زالت مملكة البحرين تحرص على إرسائه ضمن منظومة حقوق الإنسان، وتقنينه بأدوات تشريعية لضمان تطبيقه على أرض الواقع.

ولفت الوزير إلى أن هذا التعديل يراعي المساواة والعدالة، فضلاً عن أنه يسهم في تكريس حقوق المرأة العاملة ويعزز من دور المرأة البحرينية، بخاصة في القطاعات الإنتاجية وتحفيزها على العمل، لافتًا إلى أن هذا المرسوم يأتي ضمن عدد من الإجراءات التي اتخذتها مملكة البحرين على صعيد عدم التمييز بين المرأة والرجل في مجال العمل.

«الأيام» - 6 أغسطس 2021

راتب تقاعدي للأجانب بدلاً من المكافأة

دعا أسامة العبسي الرئيس السابق لهيئة تنظيم سوق العمل إلى الغاء مكافأة نهاية الخدمة للعاملين الأجانب واستبدالها براتب تقاعدي. وقال إنه:» آن الاوان ليبدأ الموظفون الوافدون في دفع مساهمات شهرية للهيئة العامة للتأمين الاجتماعي لكي تستخدم في دفع معاشاتهم التقاعدية بعد إنهاء خدماتهم».

وكان يحقَ لكل من البحرينيين والوافدين بموجب قانون التأمين الاجتماعي لسنة 1976 الحصول على راتب تقاعدي، ولكن تمّ تغيير النظام لاحقاً بحيث أصبح لا يحق سوى للمواطنين فقط الحصول على راتب تقاعدي في حين أصبح لزاما على مؤسسات القطاع الخاص والعام دفع مكافأة نهاية الخدمة لموظفيهم.

وقال العبسي من شاء العودة إلى قانون 1976 أن يعالج المشاكل المتنامية التي يواجهها العمال الوافدون فيما يتعلق بمكافئة نهاية الخدمة وخاصة مع انتشار جائحة كورونا إذ تعاني الكثير من الشركات من ضغوط السيولة، وبناء عليه اقترح أن يلحق العمال الوافدين بنظام التأمين الاجتماعي بدلا من دفع مكافأة لهم عند نهاية الخدمة.

«أخبار الخليج»

4 أغسطس 2021

كاريكاتير خالد الهاشمي

نقلاً عن حساب الفنان على «انستجرام»

إلغاء 158 ألف تصريح في 2020

أظهر تقرير نشاط هيئة تنظيم سوق العمل خلال السنة المالية 2020 إلغاء الهيئة نحو 158 ألف تصريح عمل بناءً على طلبات أصحاب العمل، باستثناء الملتحقين بالعمالة الأجنبية، كما أصدرت الهيئة قرابة 15 ألف تصريح عمل جديداً للعمالة المنزلية ومن في حكمهم، وتم تجديد 25 ألف تصريح عمل لذات الفئة.

وكشف التقرير المالي عن تحقيق الهيئة فائضاً نقدياً مقداره مليونين و475 ألف ديناراً ناتجاً عن مجموع إيرادات الهيئة من الميزانية المعتمدة من قبل وزارة المالية والاقتصاد الوطني وحصة الهيئة من رسوم الرعاية الصحية والفوائد البنكية، بينما بلغ إنفاق الهيئة 12 مليون و725 ألف ديناراً. وذكر التقرير أن الفائض الدفتري انخفض 5 ملايين و433 ألف ديناراً في العام 2019 إلى مليونين و514 ألف ديناراً في العام الماضي أي بنسبة 54٪.

«تقدّم» تشيد بتضافر جهود الدولة والمجتمع في إنجاح موسم عاشوراء

أكدّت كتلة «تقدّم» البرلمانية على أهمية ومغزى الرعاية الكريمة لعاهل البلاد وتوجيهاته لكافة الجهات المعنية في البلاد بدعم وتسيير كافة الجهود التي بذلت في سبيل إنجاح موسم عاشوراء، كما أشادت الكتلة بجهود فريق البحرين الوطني بقيادة سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء، وجميع الكوادر الطبية العاملة في الصفوف الأمامية، والمسؤولين في الوزارات المعنية بدءاً من وزارة الداخلية ووزارات الصحة والأشغال والبلديات والأوقاف الجعفرية وبالدور الإيجابي لأصحاب الفضيلة المشايخ والخطباء ورؤساء المآتم والفرق الميدانية في مآتم وحسينيات البحرين، والتي كان لها الأثر الكبير في إنجاح موسم عاشوراء لهذا العام في ظل الظروف الصعبة التي تمر بها بلادنا والعالم جراء تداعيات جائحة كورونا.

وقالت الكتلة في بيان أصدرته بالمناسبة: "لقد تابعنا باهتمام كيف تجسدت معاني الوحدة المجتمعية في ما أبدته شرائح عديدة ومهمة من مجتمعنا البحريني من تعاون وتعاضد وتنسيق للجهود، ومن تبادل للزيارات في أجواء متميزة من ممارسة الشعائر بحس مسؤول إحياءً لذكرى عاشوراء بالصورة المشرفة التي يتطلع إليها الجميع، بما يؤكد تميز بلادنا بالتعايش المتحضر في ماضيها وحاضرها، والتي ستبقى بعون الله واحة إخاء ومحبةٍ ومنارة سلام وإشعاع حضاري لأهلها ولجميع المقيمين على أرضها الطيبة المعطاءة."

ايقاف المهازل ضد البحرينيين وفضح من ينتهك حقهم في العمل

عبر عضو مجلس النواب سيد فلاح هاشم عن أسفه إزاء استمرار معاناة المواطنين البحرينيين في إيجاد الفرص الوظيفية، وذلك تعليقاً على قصة نشرها أحد المغردين وأكد فيها أنه شاهد عاملاً بحرينياً في محطة وقود يقوم بتدريب عامل أجنبي جديد ليحل مكانه بعد أن قامت الشركة بالاستغناء عنه.

وشدد هاشم أن المطلوب هو إيقاف «هذه المهازل في حق المواطن البحريني» بعيداً عن كل الحملات الإعلانية المتعلقة ببحرنة الوظائف والتصريحات وبرامج الدعم التي يتم إطلاقها في هذا الاتجاه، مؤكداً بأن «مصداقية الجميع» باتت على المحك في هذا الصدد.

وأشار هاشم بأنه «لا مكان للمجاملة» في هذه المسألة، مضيفاً بأن «جميع من ينتهك حق البحريني في العمل يجب فضحه»، منوهاً بأن على السلطة التشريعية أن تتحمل مسؤوليتها إذا وقفت الجهات التنفيذية عاجزة عن محاسبة منتهكي حق المواطن البحريني في العمل، ومشيراً في الوقت نفسه إلى أن يتضامن المجتمع مع أبنائه بمقاطعة المؤسسات التي تنتهج هذه السياسة في التوظيف.

متابعة حرمان متطوعين من الحصول على «الاستثنائية»

قال النائب سيد فلاح هاشم إنه ومجموعة من زملائه النواب يتابعون ما أثير على وسائل التواصل الاجتماعي بخصوص حرمان مجموعة من العاملين في الصفوف الأمامية في مواجهة فيروس كورونا من الرتب الاستثنائية أو ما يعادلها، مع العلم أن الجهات الرسمية أفادة بأن التكريم ومنح هذه الرتب سيتم على دفعات، وأنهم (كنواب) لن يألو جهدا في متابعة الموضوع، وسيتواصلون مع وزيرة الصحة حول ذلك.

كما أنهم على ثقة بأن وزارة الصحة ومكتب ولي العهد لن يسمحوا بحرمان هذه المجموعة التي ضحت بكل غال ونفيس من أجل الوطن في خقهم بالمكافئة التي رصدت لهم.

خصخصة «الحوادث البسيطة» إضرار بذوي الدخل المحدود

دعا عضو كتلة «تقدّم» النائب يوسف زينل الإدارة العامة للمرور إلى مراقبة عملية إسناد مباشرة الحوادث المرورية البسيطة لشركات التأمين.

وفي الوقت الذي أثنى فيه زينل على أية خطوة من شأنها تسهيل الإجراءات، فقد نبه إلى السلبيات المحتملة للخصخصة، وبينها فتح الباب على مصراعيه لزيادة الأسعار والإضرار بجيوب المواطنين تحديداً من ذوي الدخل المحدود.

وأضاف: الحل هو وضع ضوابط من قبل الجهة الرسمية المعنية لإغلاق الطريق أمام أي استغلال، وهو ما يتوجب أن يطبق على إسناد مباشرة الحوادث المرورية البسيطة لشركات التأمين، والتي تشمل المواطنين والمقيمين على اختلاف مستوياتهم المالية.

وتابع: يمكن تنفيذ هذا الحل عبر وضع قائمة أسعار موحدة ومعتمدة من قبل الإدارة العامة للمرور، والإعلان عن قنوات تواصل للإبلاغ عن أية تجاوزات ومخالفات قد ترتكبها بعض شركات التأمين.

حوار مجتمعي لإيجاد حلول عملية للأزمة الإسكانية

أكد النائب يوسف زينل عضو كتلة «تقدّم» على حاجة الملف الإسكاني إلى ما وصفه ب(حلول على أسس علمية وعملية)، توضع عبر حوار مجتمعي، بعيدًا عن لغة الفرض والتصلب.

ونوّه زينل إلى دعوته تأتي لتجدد التنبيه من خطورة إبقاء الملف الإسكاني على ما هو عليه، حيث الحلول العاجزة عن مواكبة أعداد الطلبات على قائمة الانتظار وتلك الداخلة إليها سنويًا حتى بات المجموع يراوح مكانه رغم المشاريع الإسكانية المستمرة، مضيفًا: نتحدث عن وجود 57 ألف طلب وهو رقم كبير جدًا لا تبدو مشاريع الوزارة القادمة قادرة على استيعابه.

عطفًا على ذلك، شدّد زينل على ضرورة التعاطي الجاد مع الملف الإسكاني بوصفه أحد أبرز الملفات الخدمية في مملكة البحرين، وهو الملف الذي يتصل بهم يغطي نحو ربع مليون مواطن (مجموع أفراد أسر أصحاب الطلبات).

وأردف: المخرج من المأزق يتطلب تعاونًا مشتركاً، خصوصًا ونحن أمام تحديات إضافية متوقعة، بينها شح الأراضي وضعف التمويل وتقلص المساحات، الأمر الذي يستدعي عقد حوار مجتمعي يناقش ويشخص ويضع الحلول المتوافق عليها رسميًا وشعبيًا.

وعبّر زينل عن امتعاضه حيال المشهد المستمر لأصحاب الطلبات القديمة، ممن تجاوزت سنوات انتظارهم الخمسة عشر عامًا، وهم وأسرهم في مساكن الآباء أو في شقق مؤجرة، لا تلبي الأولى متطلبات العيش الكريم وتستنزف الثانية جزءًا لا يستهان به من الدخل المحدود.

لحاجة طلاب المحافظة لمدرسة قريبة مثل بقية المحافظات

اقتراح بإنشاء مدرسة صناعية بـ «الشمالية»

تقدّم عدد من النواب، بينهم عضو كتلة «تقدّم» النائب فلاح هاشم بإقتراح نيابي لإنشاء مدرسة صناعية للبنين في المحافظة الشمالية، وذلك لافتقاد المحافظة لمدرسة صناعية للبنين بالرغم من كبر حجمها الجغرافي والسكاني.

وقال مقدّمو المقترح إن المحافظة الشمالية ليس بها مدرسة صناعية مثل بقية المحافظات، مما يدفع بالعديد من الطلاب إلى التوجه إلى المدارس في مناطق بعيدة عن سكنهم، حيث تخرج حافلات نقل الطلبة من الصباح الباكر جدًا لتجنّب الإزدحامات المرورية، علماً بأن المحافظة الشمالية تحتوي على أكثر من مدينة إسكانية وعدد من القرى والمناطق السكنية.

وأشار مقدّمو الاقتراح إلى أن هناك العديد من الطلاب في المحافظة الشمالية يرغبون في دراسة المسار الصناعي المهني في المرحلة الثانوية وهذا ما يتطلب انشاء مثل هذه المدرسة، خصوصًا وأن المحافظة الشمالية مقبلة على نهضة إسكانية وعمرانية بعد افتتاح مدينة سلمان، مشيرين إلى أنّ إنشاء مدرسة صناعية في الشمالية سيخفف العبء على المدارس في العاصمة وسيقلل من الازدحامات المرورية في العاصمة.

وقّع على المقترح بالإضافة للنائب هاشم، كل من النواب عبدالله الذوادي، محمد بوحمود، فلاح هاشم، باسم المالكي.

مطرقة البرلمان

مرة أخرى.. البحرين ما بعد الجائحة!

عبد النبي سلمان

متابعة لما بدأنا الحديث حوله في مقالنا بالعدد السابق، وإلى ما وصلنا إليه خلاصات يجدر بنا التأمل فيها وقراءتها مجدداً بعيون ورؤى جادة وجديدة، بدون استسهال ومسايرة ما ألفناه من أساليب تقليدية للتعاطي مع مختلف قضايانا، دون التحسب لمخاطر انعكاساتها المجتمعية، وما يمكن أن تخلقه من تعقيدات في المشهد الوطني العام، أو ما يمكن أن تقودنا إليه من مغبة فرض أولويات بعيدة عن سياق ما ارتضيناه من رؤى وأفكار طالما اشتغلنا عليها لفترات، أو عبر القفز بعيداً عن التزاماتنا التي طالما روّجنا لها كثيراً تجاه قضايا محددة، قد يكون بعضها هامشياً، أو لنقل لم يحن أوانها بعد، عبر حجج ومبررات لا تستقيم ورؤيتنا الجامعة التي يفترض أنها تلخص ما نتطلع إليه حكومة وشعبا.

في هذا السياق اجدني محمولاً على مواصلة الحديث حول ضرورات مرحلة ما بعد جائحة كورونا في ظل التحسن المضطرد في الحالة الصحية في البلاد وفي العالم من حولنا بشكل عام، بما تقدّمه المعطيات من نسب تراجع يومي في الحالات وأعداد المصابين وارتفاع في نسب التعافي نتمنى ان تستمر، وذلك ما أشاع حالاً من التفاؤل في أوساط المواطنين والمقيمين، كل ذلك لم يتأت من فراغ وانما بسبب نهج مدروس لعملنا بشكل جماعي لم يقبل التفرد بالقرار من أي جهة كانت، ضمن فريق وطني ابتعد عن العشوائية، وآمن بمبدأ الاختصاص وتوزيع المهمات والأدوار واكتسب كثيرا من الوضوح والشفافية ضمن منهجية واضحة نجزم أنّها محل اجماع تام من قبل المواطنين والمقيمين وليس في ذلك ادنى مزايدة.

إن الحاجة للاستثمار الجدي في ما أنجزناه، مجتمعاً ودولة خلال فترة تعاطينا الناجح حتي الآن مع تداعيات الجائحة بات يفرض بدوره اشتراطات علينا الاستمرار فيها وتطويرها، وليس اعتبارها جزءا من مرحلة انقضت لسنا بحاجة للتعلم منها او العودة اليها، فهي فترة بقدر ما أخذت منا الكثير وكلفتنا الكثير من الوقت والجهود والأموال، إلا إنها فترة علمتنا الكثير ايضاً. فعلى سبيل المثال، ليس مضمونا أن تعود أسعار النفط للارتفاع مجدداً، فتلك سلعة عالمية متداولة، كما أنها سلعة ناضبة وتعتمد أساساً علي مبدأ العرض والطلب، وحتى لو افترضنا ربما ارتفعت مستقبلاً، فلا يجدر بنا تحت أي ظرف أن نستكين لذلك الواقع الذي طالما عايشناه لفترات مختلفة في الماضي، وأضعنا بسببه فرصاً واعدة للتنمية وتنويع قاعدتنا الاقتصادية.

وبالمثل نستطيع أن نعطي الكثير من الأمثلة التي شكلت لدينا، ولدى الكثير من المتابعين والمهمومين مثلنا بقضايا الوطن هاجساً مؤرقاً لم نستطع بكل أسف أن نغيّره، ربما بسبب قصور راسخ ومتأصل في آليات وادوات ونهج تعاطينا الوطني رسمياً وأهلياً، في كيفية إدارة المشهد العام اقتصاديا واجتماعيا وحتى سياسيا أيضا، ويعود أصل ذلك كما ازعم بإستمرار، الى نهج اداري خاطئ يعتقد دائما انه وحده القادر على إدارة دفة الأمور دون الحاجة للآخر، وهذا بحد ذاته أمر مربك بل ومعيق في نهاية المطاف إن شئنا الدقة.. لماذا؟!

الإجابة على ذلك تتسع للكثير من الاجتهادات التي علينا أن نتعلم الإصغاء لها ليس إمعاناً في مناكفة عدمية معيقة، وإنما ذلك ما ترشدنا اليه أبسط نظريات الإدارة الحديثة، وقبل ذلك منطق ومغزى الشراكة في صناعة القرار وهو علم يدرس، وطالما جُرّب ولازال في أكثر الدول تقدّماً وازدهاراً، وهو ليس أمراً معيباً على اية حال..ونستطيع أن نقارب المسألة عبر أمثلة عديدة، قريبة وبعيدة، طالما وجدناها تتكرر وتعاود الظهور مرة بعد أخرى، كلما اعتقدنا مخطئين أنها أصبحت ممارسات عفى عليها الزمن، فلننظر إلى بعض الحقائق والتي لا تخطئها العين المجردة، فبعد أن أشرنا إلى النجاحات التي حققتها الدولة في التعاطي مع جائحة كورونا والتي ميّزت البحرين بين الكثير من دول العالم حتي المتقدمة منها بفضل الإدارة الواعية والحكيمة والنهج التشاركي المدروس من قبل الحكومة الموقرة خلال هذه الأزمة، دعونا نراقب مثالين قريبين كمقاربة بتنا نعايشها منذ سنوات بل ونضج بالشكوي من استمرار التراجعات التي خلقتها والتي تتسبب باستمرار النظرة السلبية لدى الشارع البحريني حيال الأداء الحكومي في بعض جوانبه، الا وهما ملفا البطالة والتعليم على سبيل المثال لا الحصر.

ويكفي أن نستعرض باختصار ما سببته سياسات التوظيف وبرامج تنظيم سوق العمل والأرقام والنسب المعلنة حول سياسات التوظيف من لغط وفوضى في هيكلية سوق العمل البحريني، يزيدها سوءاً إصرار بعض المسؤولين على تلك المغالطات دون التفكير في إعادة النظر في كل ما قيل ويقال في هذا الصدد من كلام رسمي لا نجد له أرضيّة مقبولة لا علمياً ولا حتى نظرياً، بل أضحى يثير تذمراً مستمراً لدى الشارع بمختلف شرائحه حيال هيكلية السوق ونسب توظيف العمالة الوطنية ونوعيّة الوظائف التي تخلقها السوق أو حتى معدلات الأجور، على الأقل بما يتناسب مع ما تطرحه رؤية البحرين2030 حول الاستدامة والعدالة والتنافسيّة وجعل الأفضلية للبحريني في سوق العمل.

ويكفينا أن ندلل على ما نقول بتصريحات سعادة وزير العمل منذ أسبوعين فقط، عندما أعلن عبر الصحافة المحلية عن أنّ الوزارة استطاعت أن توظف اكثر من 14،000 بحريني في الستة شهور المنصرمة من العام الجاري، رغم ظروف وتداعيات جائحة كورونا...لن نحاكم النوايا بل دعونا نحترم الأرقام والعقول وما يقوله واقع السوق!

أما المثال الآخر الذي يحضرني هنا، فهو ملف التعليم والتراجعات الكبيرة التي هي حديث كل مجلس ومنتدى، ليس انطلاقا فقط من رداءة وقلة جودة المناهج التعليمية التي لا تتماشى مع طموحاتنا كدولة ومجتمع، او من استمرار المنهجيّة المتخبطة في سياسات الإبتعاث ونوعية البعثات والتخصصات المتوافرة وموائمتها بحاجات سوق العمل والنهج الاقتصادي والاجتماعي الذي نتطلع له جميعا، علاوة على قلة حيلة وعجز القائمين على سياسات التعليم العالي والأساسي أيضا، بل من واقع انه لا توجد رؤية واضحة لدى المعنيين بالقرار التعليمي تجاه طموحنا ونظرتنا كمجتمع لما نريده من تعليم للحاضر والمستقبل، وما يحمل من تحديّات، وما هي أهدافه وكيف سيتأتى بلوغه بذات السياسات والأدوات والعقول الإدارية والأكاديمية القائمة حاليا، والتي تسببت في هذا الحجم المهول من التراجعات المخيفة التي نجدها اليوم في كل مرافق ومناحي حياتنا واقتصادنا ومجتمعنا، في وقت يجب أن نكون فيه متأهبين فعلاً لا قولاً، للانطلاق نحو المستقبل بما فيه من معارف وتكنولوجيا تجاوزت حتى مرحلة الذكاء الاصطناعي فيما نحن لازلنا نراوح في ذات المكان الذي وجدنا فيه انفسنا منذ اكثر من ثلاثين سنة على الأقل!

تلك أمثلة وددت أن ادلل بها لعلّها تكون محل حوارات وسجالات مأمولة لا تتوقف لتقود بلادنا ومجتمعنا الطامح لبلوغ المستقبل بكل ثبات وثقة، لنتحاور حول قضايانا المختلفة بكل صراحة ووضوح ونحن نتهيأ للإنطلاق نحو ما ستفرضه متطلبات مرحلة ما بعد جائحة كورونا من استحقاقات قادمة إلينا بسرعة أكبر مما نتوقع والتي تفرض علينا الاستعداد لها متسلحين بوحدتنا الوطنية وبنهج حضاري وعلمي يؤهلنا لبناء دولة عصرية ناهضة.

حول تصريحات العبسي

اشتـــراك فـــي التقـــاعـــد أم مُكـــافـــأة نهـــايـــة الخـــدمـــة؟

في الأسابيع القليلة الماضية انشغلت الصحافة ومواقع التواصل الاجتماعي بتعليقات المواطنين على تصريح الرئيس السابق لهيئة تنظيم سوق العمل السيد أسامة العبسي المتعلق بإلغاء مكافأة نهاية الخدمة للعامل الوافد وتحويلها لاشتراكات في التقاعد، مما أدى إلى ردود وتعليقات لعدد كبير من المواطنين ومن ضمنهم مجموعة من النواب.

فلاح هاشم

لقد جاء هذا الاقتراح مبهماً، وكأن القصد منه إشغال الرأي العام عن لبّ المشكلة، خاصة أنه جاء من شخصية (إشكالية) كانت في موقع القرار لسنين طويلة، ومن موقعه هذا ساهم في إصدار العديد من التشريعات التي كان لها أثر سلبي على المجتمع عامة، وكذلك على نظام التأمينات الاجتماعية.

وأول تلك السلبيات هي امتناع هيئة تنظيم سوق العمل عن إصدار خطة وطنية لسوق العمل، والتي ينص عليه مرسوم إنشاء الهيئة، مما أدى إلى إشاعة الفوضى في سوق العمل، وبدلا عن ذلك ولمعالجة النتائج المترتبة على تلك الإخفاقات، قامت الهيئة بإصدار تشريع «التصريح المرن»، الذي تمّ بموجبه تحويل عشرات الآلاف من العمال الأجانب من عمالة تعمل في مؤسسات تنطبق عليها جميع القوانين الناظمة لسوق العمل، كقانون العمل أو قانون التأمين الاجتماعي، فرع إصابات العمل، إلى عمالة هشة مقيمة في البلد لاتخضع إلى هذه القوانين، مما أدى إلى معارضة جميع شرائح المجتمع لهذا التصريح.

وأما بخصوص صندوق التقاعد فليس ببعيد عن الآلية التي خرج عليها السيد العبسي على التقاعد بمعاش يفوق الخيال مما كلف التأمينات المبالغ الكبيرة.

ويعلم الجميع أن قانون رقم 24 لسنة 1976 بشأن التأمين الاجتماعي على العاملين في القطاع الأهلي شمل جميع العاملين في هذا القطاع دون استثناء بسبب الجنس أو الجنسية، عند صدوره في 29 يونيو 1976 ونشر في الجريدة الرسمية في 15 يوليو 1976 ليبدأ العمل بالمرحلة الأولى من القانون في بداية أغسطس 1976 والتي شملت المؤسسات التي يعمل لديها 1000 عامل وأكثر، إلى أن صدر المرسوم بقانون رقم (12) لسنة 1977 في شأن إيقاف العمل ببعض أحكام قانون التأمين الاجتماعي بالنسبة لغير البحرينيين في 3 يونيو 1977 والذي بموجبه تمّ استثناء التأمين على العمالة غير البحرينية، أي بعد 10 شهور من تطبيق المرحلة الأولى وهذا القرار الذي أجمع العديد من المختصين والمعنيين في هذا الشأن على أنه قرار لم يكن موفقا وله من التبعات السلبية على التأمينات الاجتماعية وعلى الحقوق العمالية الشيء الكثير، والذي تتحمل الحكومة المسؤولية الأولى عنه، ويستفيد منه بالدرجة الأولى أصحاب الأعمال، وأدى إلى العديد من التبعات من ضمنها: عدم تحصل عدد كبير من العمال الوافدين على مستحقاتهم في مكافأة نهاية الخدمة.

وهي في الحقيقة لم تقتصر على حالات الإفلاس وإنما شملتها العديد من الأسباب تبدأ بجشع وغياب ضمير بعض أصحاب الأعمال مستغلين غياب الوعي لدى العدد الأكبر من العمال الوافدين، وغياب النظر الجهات التنفيذية أو غضها النظر طوال هذه السنوات ، سواء في وزارة العمل أو هيئة تنظيم سوق العمل التي كان على رأسها السيد العبسي.

سبق ذلك أن قُدّمت العديد من الرؤى والدراسات العلمية بهذا الخصوص من العديد من الجهات والمختصين، وعبر العديد من الفعاليات والمقترحات والتوصيات، بما فيها توصيات لجان التحقيق النيابية، بدءاً من عام 2003 لمعالجة تبعات هذه المشكلة بما يساهم في حل المشكلة بصورة أولية ويكون لها الأثر الإيجابي على التأمينات الاجتماعية، وبما يرتقي بتشريعاتنا في مجال العمل.

وتأكيداً على أن الحق في الحماية الاجتماعية هو أحد الحقوق في العمل، وهو حق يشمل الجميع كما تنص عليها التشريعات والاتفاقيات المعنية بالعمل والعمال، كما أن مملكة البحرين موقعة على اتفاقية العمل الدولية رقم 111 بشأن عدم التمييز في العمل، والصادر بمرسوم رقم (11) لسنة 2000، مما يحتم علينا معالجة المشكلة بما يضمن حقوق هذه العمالة، ولذلك كان من ضمن توصيات لجنة التحقيق النيابية الأخيرة بشأن صناديق التقاعد التي تدار من الهيئة العامة للتأمين الاجتماعي والتي أقرها مجلس النواب في جلسته المنعقدة بتاريخ 23 مارس 2021 في التوصية رقم 30 والتي تنص على إنشاء نظام للادخار على غرار التجربة الماليزية يقوم على حفظ حقوق العمالة الوافدة حين يتم موعد رجوعها إلى أوطانهم، وبما لا يؤثر على التأمينات الاجتماعية للبلد، تاركين تفاصيل هذا النظام ونسبة وآلية المساهمة فيه إلى حين إقرار التشريع الخاص بذلك.

الاقتراح مبهم وكأن القصد منه إشغال الرأي العام عن لبّ المشكلة

الشّباب ومؤسسات المجتمع المدنيّ

أسطـــوانـــة مشـــروخـــة

تعاني منظمات المجتمع المدني الأهلية (جمعيات سياسية، جمعيات نسائية وجمعيات مهنية) من التناقص المستمر في عدد أعضائها، وفي عدد الناشطين من أولئك الأعضاء. في الوقت ذاته تجد هذه المؤسسات نفسها غير قادرة على ضخ دماء جديدة لصفوفها، كما يندر لديها تفريخ قيادات جديدة تتبوأ مسئوليات إدارتها، وهي حالة شبه عامة في كافة المنظمات المذكورة على الصعيد المحلي وربما خارجه.

فوزية مطر

وإن حدث والتحق بعضوية هذه المنظمات أعضاء جدد من الشباب، فإن قسماً ليس بقليلٍ منهم يجد بعد فترة من عضويته أن العمل الموجود والنشاط الذي تمارسه تلك المنظمات لا يستهويه، وربما لا تروق له أساليب إدارته، وقد لا يجد نفسه فيه فيغادر.

وكلما تأزم وضع المنظمات المذكورة ودار الحديث حول تدني مواردها البشرية وقلة الأفراد الناشطين في عملها وفي إدارة دفته، أعيد تشغيل أسطوانة مشروخة غير ذات جدوى، مفادها الاستنجاد بالشباب عموماً والناشطين منهم في ساحات أخرى على وجه الخصوص. ويصل الأمر أحياناً إلى توجيه اللوم الذي قد يبلغ حد التقريع للشباب على عدم انضمامه لهذه المنظمات لإنقاذها من خطر يداهمها، وقد يصل بها حافة الانتهاء والتلاشي.

السياسيون يتذكرون بحسرة الزخم الذي جرى بداية الألفية الثالثة وما رافقه من اقبال الشباب على الانضمام للجمعيات السياسية، ويأسفون على انفضاض الطاقات الشبابية من حولهم، ثم يبدأ بعضهم في تشغيل الأسطوانة ذاتها.

ويتكرر في أوساط الجمعيات النسائية اللوم للشابات الناشطات في العمل الاجتماعي التطوعي لعدم انضمامهن للجمعيات النسائية لسد ثغرة ما تعانيه من نقص حاد في الموارد البشرية اللازمة لاستمرارية عملها.

كذلك يفعل قدامى المهنيين في منظماتهم التي تفتقد هي الأخرى الدماء الشابة مكررين لوم الشباب من المهنة ذاتها على ابتعادهم عن تلك الجمعيات وعدم الانخراط في تحمل مسئولياتها.

انحسار الموارد البشرية عن منظمات المجتمع المدني الأهلية ليس جديداً، بل تعود بداياته لثمانينيات القرن الماضي. وعلى مدى أربعة عقود لم تتمكن تلك المنظمات على أنواعها من تحقيق نجاح فيما وضعته كل منها من خطط وبرامج لاستقطاب الشباب.

ولسنا هنا بصدد البحث عن أسباب ذلك الفشل فهي عديدة ومنوعة بعضها ذاتي وبعضها موضوعي. نحن بصدد التنادي للعثور على مخارج أخرى ليس ضمنها بالطبع تشغيل الأسطوانة المشروخة التي تصدح باللوم والتقريع دون التحرك نحو البحث عن مخارج.

السؤال الذي يطرح نفسه: هل المجموعات الشبابية خارج المنظمات المذكورة مسئولة عن تلك المعضلة وملزمة بعملية الإنقاذ المطلوبة، مما يبرر ما يُمارس عليها من لوم وتقريع؟ وهل انضمام الناشطين من الشباب أمر واجب عليهم؟ الجواب قطعاً هو لا. لا ذنب للشباب هنا وليس مطلوباً منه أن يؤدي دور المنقذ إلا إن اقتنع وشاء وقرّر.

ذلك الجواب يستمد قطعيته من افتراض ما يعتنقه ويؤمن به العاملون في المنظمات المذكورة من مبادئ وقيم الديمقراطية ومن أسس ومتطلبات حقوق الانسان. وتلك المبادئ والقيم من المتوقع أن العاملين في المنظمات المذكورة قد استوعبوها واستلهموها في تربية الأبناء لبناء شخصيات ذات فكر حر ورأي مستقل، بل ويُفترض أنها نبراسهم في نظرتهم للشباب وموقفهم منه ومن دوره وحقه في الذهاب إلى خياراته.

عطفاً على ذلك، وبافتراض أن تربية الأبناء قد تشيدت على غرس القيم والمبادئ والمثل العليا المشار إليها، فلا خوف على الشباب إذاً من خياراتهم. بل لا بد أن يُمنحوا ما يحتاجونه من ثقة ودعم، وأن تُصان حريتهم في الذهاب دون وجل لخياراتهم واختياراتهم من أفكار واتجاهات وأنشطة.

ولنسأل أنفسنا: هل ما نؤمن به من أفكار ونظريات واتجاهات نحو الحياة والمجتمع هو ما يجب أن يؤمن به أبناؤنا، ألن يتعارض ذلك مع ما غرسناه فيهم من قيم ومبادئ. ثم كيف لنا أن نلوم هذا الشباب ونحن من ننبذ الاكراه أياً كانت أشكاله، ونحن من ندعو لتربية الأبناء على الاستقلالية والاعتماد على النفس وحرية الاختيار.

اهتمامات الشباب اليوم وطموحاتهم متنوعة ومغايرة، ووفقاً لذلك يحددون خياراتهم واتجاهاتهم في التعامل مع الحياة. وقد وجد الكثيرون من الشباب ضالتهم في العديد من المنظمات الشبابية الموجودة فعلاً والمتنوعة الأهداف.

على صعيد آخر، تصدح أسطوانة مشروخة أخرى قوامها ما يستمر فيه البعض في منظمات المجتمع المدني الأهلية من جلد للذات بلوم أنفسهم على فشلهم في توريث أفكارهم واتجاهاتهم لأبنائهم. والقول هنا أن الآباء لن يجدوا أبداً أبناءهم نسخاً عنهم في عصر ثورة المعلومات والاتصالات. لن يجدوهم كذلك إلا في حال استهوت الأبناء تلك الأفكار والاتجاهات وأقنعتهم.

جبران خليل جبران(1883–1931) الشاعر والكاتب والفيلسوف الذي بظننا سبق عصره بنحو مائة عام في إطارما تحدثنا عنه، خاطب الآباء في كتابه الأشهر "النبي" الصادر سنة 1923 قائلاً: "أولادكم ليسوا لكم. أولادكم أبناء الحياة المشتاقة إلى نفسها، بكم يأتون للعالم ولكن ليس منكم. ومع أنهم يعيشون معكم فهم ليسوا ملكاً لكم. يمكنكم أن تمنحوهم محبتكم، ولكن لا يمكنكم أن تغرسوا بذور أفكاركم فيهم، لأن لهم أفكاراً خاصة بهم. وفي مقدوركم أن تصنعوا المساكن لأجسادهم، ولكن نفوسهم لا تقطن مساكنكم. هي تقطن مسكن الغد، الذي لا تستطيعون أن تزوروه ولو في أحلامكم. وإن لكم أن تجاهدوا كي تصيروا مثلهم. ولكنكم عبثاً تحاولون أن تجعلوهم مثلكم، لأن الحياة لا تعود إلى الوراء، ولا تلذ لها الإقامة في منزل الأمس."

وبدوره أبدع المأثور الشعبي في التعبير عن الحال ذاتها بالمثل البحريني القديم القائل: «كل وقت ما يستحي من وقته».

حقُّ المرأة المطلّقة في السّكن

قد تكون مشكلة السكن من أهم المشكلات التي تواجه المطلقات، والتي تؤرق العديد من النساء خاصة في حال عدم وجود أبناء بين الزوجين، أو تكون مطلقة حاضنة من أب غير بحريني، أو انتهاء فترة حضانة الأم لأبنائها، حيث ينص قانون أحكام الأسرة البحريني، وفقاً للفقه السني «أنه تنتهي حضانة الأم ببلوغ الذكر خمس عشرة سنة، وبالنسبة للأنثى حتى تتزوج ويدخل بها الزوج»، أما بالنسبة للفقه الجعفري «تنتهي حضانة الأم عند اتمام سن السابعة للابن أو البنت».

دينا الأمير

وبعد الانتهاء من فترة حضانة الأم، وفي حال امتناع الزوج عن توفير مسكن للأبناء وأمهم، أو زواج جميع الأبناء، أو انتقال الحضانة إلى الأب، يستطيع الرجل طرد المرأة من المنزل بحكم القانون الذي لا يرحم عمرها والسنوات التي قضتها في تربية الأبناء ومساعدة الزوج في أعباء الحياة، وتبدأ معاناة المرأة في البحث عن سكن، خاصة إذا كانت ربة منزل ولا تعمل أو ليس لديها دخل ثابت، أو متقدمة في السن وليس لديها مكان يؤويها.

وعلى الرغم من أن الدولة قد كفلت الحق في الانتفاع بالخدمات الإسكانية للنساء، وإضافة إلى الفئات الموجودة في الخدمات الإسكانية، فقد استحدثت الفئة الخامسة في القرار الوزاري رقم 909 لسنة 2015 بشأن نظام الإسكان التي منحت حق الانتفاع للمرأة البحرينية (المطلقة أو المهجورة أو الأرملة وليس لديها ابن أو أكثر أو العزباء يتيمة الأبوين)، وتمنح هذه الفئة خدمة السكن المؤقت فقط ووفق تقدير لجنة الإسكان، وقد تعاني المرأة من مشكلة الانتظار للحصول على هذه الخدمة الإسكانية، فضلاً عن أنه على هذه الفئة فرضت قيود خاصة بها وهي عدم السماح للأبناء الذكور البالغين بالسكن مع أمهم، كما لا يسمح للمرأة باستقبال الأقارب الرجال بكل درجاتهم في حين يسمح بالزيارة للنساء فقط، وهذا يدعو للقطيعة وتقييد تواصل المرأة مع أقاربها.

وتضمّ الفئة الثانية المشمولة بالخدمات الإسكانية المرأة البحرينية الحاضنة لأبناء بحرينيين، التي يحق لها التقدم بطلب اسكاني وفقاً للقرار رقم 12 لسنة 2004 بشأن حق المرأة البحرينية في الانتفاع بالخدمات الإسكانية، والقرار رقم (83) لسنة 2006، والتي تنص على أن يكون: (أحد الوالدين مع ابن قاصر أو أكثر يحملون الجنسية البحرينية، وتشمل كذلك الأسرة التي تتكون من بحرينية متزوجة من أجنبي ولديها ابن قاصر أو أكثر يحملون الجنسية البحرينية).

وبالنسبة للفئة الثالثة المتاح لها الانتفاع بالخدمات الإسكانية والتي تضم الابن والذي يبلغ (21) عاماً وغير متزوج ويسكن مع والديه أو أحدهما واللذان يحملان الجنسية البحرينية، وألا يكون قد سبق لأي من والديه الانتفاع بخدمة إسكانية، إلا أن هذا الخيار يحرم الابن والوالدين من التقدم لنيل خدمة إسكانية أخرى.، كما أن هذه الفئة قد تضع المرأة تحت رحمة ابنها في حال استملاكه للمنزل.

أما الفئة الرابعة التي تغطيها الخدمة الإسكانية فهي الابن البالغ (21) سنة ويتيم الوالدين ولديه أخ أو أخت قاصر أو أكثر، والذي يتم اختياره إتفاقاً من قبل اخوته الآخرين ممن بلغو (21) سنة، وتمنح هذه الفئة الخدمة الإسكانية وفق تقدير لجنة الإسكان.

والسؤال الذي يطرح نفسه وتطالب به العديد من النساء، لماذا لا يكفل القانون حق الزوجة بالسكن، وذلك بإلزام تسجيل اسمها مع اسم الزوج من بداية الحصول على القرض الاسكاني أو الوحدة السكنية لمنزل الزوجية؟ وحين وقوع الطلاق يظل حقها ونصيبها في البيت محفوظا؟ لماذا يُترك حقها بتملك نصيبها من البيت لتلاعب ومزاجية الزوج، يطردها من البيت متى ما يشاء؟ وفي بعض الحالات وبسبب عدم ضمان حق المرأة في منزل الزوجية وخوفها من الطرد، قد يجبرها على السكوت على العنف الجسدي والنفسي الذي يقع عليها من قبل الزوج، وهذا في حد ذاته مشكلة أخرى.

الطلاق قضية اجتماعية كبرى، وفي أغلب الأحوال فإن المرأة هي الخاسر الأكبر والمتضرر الأول والأخير. فعلاوة على ما يخلفه الطلاق من مشكلات نفسية واجتماعية لها، فإنها مهددة بالطرد من بيتها، وقد أهدرت كافة حقوقها وكرامتها، وفي حالات عديدة تخسر المنزل الذي ساهمت في بناءه وتأثيثه مع الزوج بسبب عدم توثيق هذه المساهمة لإثبات حقها فيه، وتظل في دوامة إثبات حقها في المنزل أو البحث عن مكان آخر يأويها.

ولا يصح أن يربط حق المرأة في السكن بوجود أطفال لديها، فهذا الحق يجب أن يمنح للمرأة البحرينية بمختلف فئاتها (المتزوجة من غير بحريني – المطلقة – العزباء – الأرملة)، كما أن من حق المرأة البحرينية المتزوجة بغير بحريني ولها دخل شهري ثابت الانتفاع بالخدمات الإسكانية أسوة بالرجل وذلك طبقا للمعاملة بالسواسية للمواطنين دون تمييز بين الرجل والمرأة، انسجاماً مع الحق الدستوري ومع حقوق المواطنة والتشريعات الدولية الناظمة للحقوق بصرف النظر عن النوع.

لا يصحّ أن يربط حق المرأة في السكن بوجود أطفال لديها فهذا الحق يجب أن يمنح للمرأة البحرينية بمختلف فئاتها

تعديل المادة (٤٣) من قانون الجمعيات الأهلية الواقع والمخارج

قيود عديدة فرضها المرسوم بقانون رقم (21) لسنة 1989بإصدار قانون الجمعيات والأندية الاجتماعية والثقافية والهيئات الخاصة العاملة في ميدان الشباب والرياضة والمؤسسات الخاصة، سواء في أصل نصوص هذا القانون أو في التعديلات التي تمت عليه منها القانون رقم (36) لسنة 2018، وهذا القانون هو الذي عدّل المادة (43) .

حسن إسماعيل

هذه القيود تبدأ منذ تأسيس الجمعيات وتشمل الرقابة على نشاطها، وحلها وفرض عقوبات عليها لتجعل الجهة الإدارية المختصة هي المهيمنة على العمل الأهلي، وتتدخل في كل شاردة واردة في عمل ونشاط الجمعيات الأهلية، بل حتى في الأندية الثقافية والاجتماعية والرياضية، ولست هنا بصدد بيان مظاهر هذه الهيمنة والتدخل بالتفصيل ولكن يمكن الرجوع إليها في بحثي المنشور على الموقع الإلكتروني للمنبر التقدمي حول "رؤية نقدية لقانون الجمعيات الأهلية".

ما يهمنا هنا هو تعديل المادة (43) من القانون بموجب القانون رقم (36) لسنة 2018، إذ كانت هذه المادة في الأصل تنص على انه: "يشترط في عضو مجلس الإدارة أن يكون متمتعاً بحقوقه المدنية. ويجوز للوزير المختص أن يضيف بالنسبة لبعض الجمعيات شروطاً أخرى بحسب الغرض الذي أنشئت من أجله. فجاء التعديل مستبدلاً الفقرة الأولى من هذه المادة، النص الآتي: "يُشترط في عضو مجلس الإدارة أنْ يكون متمتعاً بكافة حقوقه المدنية والسياسية".

هذا التعديل جاء على خلفية التعديلات التي اقترحها مجلس النواب في فصله التشريعي المنصرم الرابع على المادة الثالثة من المرسوم بقانون مباشرة الحقوق السياسية، رقم (14) لسنة 2002 فصدر بموجبها قانون رقم (25) لسنة 2018 استبدل الفقرة الثانية من المادة المذكور بالنص الآتي:

"ويُمنع من الترشيح لمجلس النواب كل مَن:
1- المحكوم عليه بعقوبة جناية حتى وإنْ صدر بشأنه عفو خاص عن العقوبة أو رُدَّ إليه اعتباره.
2- المحكوم عليه بعقوبة الحبس في الجرائم العمْدية لمدة تزيد على ستة أشهر حتى وإنْ صدر بشأنه عفو خاص عن العقوبة.
3- قيادات وأعضاء الجمعيات السياسية الفعليين المنحلَّة بحكم نهائي لارتكابها مخالفة جسيمة لأحكام دستور المملكة أو أيٍّ قانون من قوانينها.
4- كل مَن تعمَّد الإضرار أو تعطيل سير الحياة الدستورية أو النيابية، وذلك بإنهاء أو ترْك العمل النيابي بالمجلس، أو تمّ إسقاط عضويته لذات الأسباب."

أبرز الملاحظات على التعديلات

ويمكن أن نشير في عجالة إلى أبرز ملاحظاتنا على تعديلات المادة الثالثة من قانون مباشرة الحقوق السياسية كما يلي:

أولاً: إن هذه التعديلات تخالف أحكام المادة الأولى الفقرة (هـ) من دستور 2002 التي نصت بوضوح على أن (للمواطنين، رجالاً ونساءً، حق المشاركة في الشئون العامة والتمتع بالحقوق السياسية، بما فيها حق الانتخاب والترشيح، وذلك وفقاً لهذا الدستور وللشروط والأوضاع التي يبينها القانون. ولا يجوز أن يحرم أحد المواطنين من حق الانتخاب أو الترشيح إلا وفقا للقانون).

قد يقول قائل إن الدستور قد اباح للمشرع العادي، أي مشرع القانون، أن يحرم من يشاء من المواطنين من حقي الانتخاب والترشيح، مدللاً على ذلك بالفقرة الأخيرة من النص الدستوري سالف الذكر (ولا يجوز أن يحرم أحد المواطنين من حق الانتخاب أو الترشيح إلا وفقاً للقانون). أي بمفهوم المخالفة أنه يجوز للقانون أن يحرم أي مواطن من حق الانتخاب أو الترشح.

ونرد عليه بما نصّ عليه الدستور في المادة -31- على أنه «لا يجوز أن ينال تنظيم أو تحديد الحقوق والحريات العامة المنصوص عليها في هذا الدستور من جوهر الحق أو الحرية». ونتساءل هنا أليست

ينصّ الدستور في المادة ٣١ على أنه «لا يجوز أن ينال تنظيم أو تحديد الحقوق والحريات العامة المنصوص عليها في هذا الدستور من جوهر الحق أو الحرية». ونتساءل أليست الحقوق السياسية تعدّ من أهم مبادئ الحرية والمساواة التي نص عليها الدستور؟

معظم المشتغلين بالعمل الأهلي التطوعي هم من خيرة أبناء هذا البلد، تتشابك أياديهم من أجل صالح الوطن والإنسان وهم يستحقون التقدير والاحترام ويطمعون في أن يعاملوا نفس المعاملة التي تحظى بها الجمعيات الأهلية في بلدان أخرى.

وجود مثل هذه المواد المعدّلة خنق للعمل الأهلي وتعدٍ على حقّ الأفراد في التنظيم والتعبير والاجتماع ذلك أن كل عمل عام هو عمل سياسي

الحقوق السياسية والتمتع بها بما فيها حقي الانتخاب والترشيح تعد من أهم مبادئ الحرية والمساواة التي نص عليها الدستور؟

فإذا كان الدستور قد نص بوضوح على حظر تعديل مبادئ الحرية والمساواة المقررة في الدستور حظرا كليا في المادة –120– الفقرة (ج)، فإنه من باب أولى بالمشرع العادي أن لا يشرعها أو يعدل فيها على نحو يتجاوز ما نصّ عليه الدستور ودون ينال من جوهرها.

ثانياً: إن حرمان ومنع كل من شملهم تعديل المادة الثالثة من قانون مباشرة الحقوق السياسية من الترشيح لمجلس النواب ينطوي على إهدار لأصل هذا الحق وإخلال بمبدأي تكافؤ الفرص والمساواة لدى القانون المنصوص عليها في المادة (4) من الدستور.

ثالثاً: مخالفة التعديلات لمبدأي السيادة الشعبية والاقتراع العام المنصوص عليهما في الدستور، إذ تنص المادة الاولى في الفقرة (د) من الدستور على ان نظام الحكم في مملكة البحرين ديمقراطي، السيادة فيه للشعب مصدر السلطات جميعا ، وتكون ممارسة السيادة على الوجه المبين بهذا الدستور. بل إنها تنال من حقوق المواطنة، إذ تلاحق المواطن مدى حياته، عندما تمنعه من حق الترشح لمجلس النواب حتى وان رد إليه الاعتبار أو حصل على عفو خاص

رابعاً: إن التعديلات تتعارض مع مبدأ شخصية العقوبة وتخلط ما بين الجمعية السياسية التي لها شخصيتها الاعتبارية المستقلة وما بين قيادات وأعضاء الجمعية اللذين لهم شخصيتهم الطبيعية المستقلة عن الجمعية التي ينتمون إليها. فالعقوبة دائماً شخصية بنص المادة 20 الفقرة ب– من الدستور، بمعنى أنها لا تلحق إلا شخص الجاني، ولا تنال أحداً غيره، ولا يكاد يخلو دستور واحد من دساتير العالم من نص مماثل، وقد أكد مبدأ شخصية العقوبة القرآن الكريم في قوله تعالى «ولا تزر وازرة وزر أخرى». وأن الأصل كما تقرره محاكم النقض أن الأشخاص الاعتبارية لا تسأل جنائياً عما يقع من ممثليها من جرائم أثناء قيامهم بأعمالهم الذي يسأل هو مرتكب الجريمة منهم شخصياً.

وبالتطبيق ذلك على الاحكام النهائية الصادرة بحلّ الجمعيات السياسية، ومنها على سبيل المثال الحكم الصادر في مواجهة جمعية «وعد» فقد قضى بعقوبة حل الجمعية وإعادة أموالها إلى خزينة الدولة بصفتها الاعتبارية استنادا لما سماه الحكم مخالفات جسيمة لقانون الجمعيات السياسية، ولم يقض الحكم على أية عقوبة ضد أي من قيادة وأعضاء الجمعية، ونحن هنا لا نناقش مدى صحة الاسباب التي ركن إليها القضاء بحل الجمعية من عدمه، بل أردنا التأكيد على أنه لا يجوز حرمان أحد من حق الترشح لمجلس النواب دون عقوبة تصدر في مواجهته هو شخصياً، وأن حرمان قيادات وأعضاء الجمعيات السياسية الفعليين المنحلة بحكم نهائي من الترشح لمجلس النواب لا يشكل فقط خرقاً لمبدأ شخصية العقوبة الذي نص عليه الدستور، بل أن الأخذ به يعني امتداد عقاب حل الجمعية إلى أولئك الاعضاء الذين لا شأن لهم به.

خامساً: ولعل من أبرز ما يعيب في التعديلات بحرمان ومنع قيادات وأعضاء الجمعيات السياسية الفعليين المنحلة

بحكم نهائي من الترشح لمجلس النواب، لكنه يجيز لهم الحق في الانتخاب والمشاركة في العملية الانتخابية، وهو ما يتعارض مع ما هو مقرر في الفقه والقضاء الدستوري على أن حقي الانتخاب والترشيح هما حقان متكاملان لا تقوم الحياة النيابية بدون أيهما، ولا تتحقق للسيادة الشعبية أبعادها الكاملة إذا ما هما أفرغا من المضمون الذي يكفل ممارستها ممارسة جدية و فعالة، و من ثم كان هذان الحقان لازمين لزوماً حتمياً لإعمال الديمقراطية في محتواها المقرر دستورياً و لضمان أن تكون المجالس النيابية كاشفة في حقيقتها عن الإرادة الشعبية و معبرة تعبيراً صادقاً عنها.

النتائج المترتبة

من هذه القراءة النقدية للتعديلات التي تمت على المادة الثالثة من قانون مباشرة الحقوق السياسية نصل إلى النتائج التالية:

أولاً: إن التعديل الذي أجراه المشرع على المادة (43) من المرسوم بقانون العمل الأهلي كان يستهدف بدرجة أساسية قيادات وأعضاء الجمعيات السياسية الفعليين المنحلة لحرمانها من الترشح لمجالس إدارات الجمعيات الأهلية.

ثانياً: إذا كان تعديل المادة الثالثة من قانون مباشرة الحقوق السياسية جاءت بالمخالفة لأحكام الدستور على النحو السالف بيانه، فأن تعديل المادة (43) من قانون الجمعيات الأهلية هو الاخر يأتي بالضرورة مخالفاً ليس لأحكام الدستور فحسب بل للاتفاقيات والمعاهدات الدولية وابرزها العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية التي انضمت إليه مملكة البحرين بموجب القانون رقم (56) لسنة 2006 وأصبح جزء لا يتجزأ من القانون الوطني فنص في المادة (22 الفقرتين 1 و2) على أنه (لكل فرد حق في حرية تكوين الجمعيات مع آخرين بما في ذلك حق إنشاء النقابات والانضمام إليها من أجل حماية مصالحه. ولا يجوز أن يوضع من القيود على ممارسة هذا الحق إلا تلك التي ينص عليها القانون، وتشكل تدابير ضرورية، في مجتمع ديمقراطي، لصيانة الأمن القومي أو السلامة العامة أو النظام العام أو حماية الصحة العامة أو الآداب العامة أو حماية حقوق الآخرين وحرياتهم، ولا تحول هذه المادة دون إخضاع أفراد القوات المسلحة ورجال الشرطة لقيود قانونية على ممارسة هذا الحق).

ثالثاً: إن تعديل المادة (43) من قانون الجمعيات الأهلية على نحو يحرم من لا يتمتع بحقوقه السياسية في أن يكون عضواً في مجلس إدارة الجمعية، يتعارض مع طبيعة العمل الأهلي باعتبار أن الجمعية الأهلية مؤسسة من المؤسسات المجتمع المدني، بل ويتعارض مع ما نصّ عليه القانون نفسه في المادة (4) التي نصت في فقرتها الثانية على أنه (ويجب ألا يشترك في تأسيس الجمعية أو ينضم

إلى عضويتها من حكم عليه في جريمة مخلة بالشرف أو الأمانة إلا إذا رد إليه اعتباره). وهو شرط معقول يتفق مع طبيعة العمل الأهلي.

هذا هو واقع المناخ القانوني الحاضن العمل الأهلي في البحرين بما اشتمل عليه من قيود بما فيها من قيد عدم الاشتغال بالسياسية بنص المادة (18) من القانون، وبما جاء به التعديل على المادة (43) وبما نصّ عليه من تعديل في المادة (60) بحرمان من يترشح لمجالس الأندية الرياضية أو الثقافية أو الاجتماعية من الانضمام للجمعيات السياسية.

إن وجود مثل هذه المواد المعدلة تخنق العمل الأهلي وتعتدي على حق الأفراد في التنظيم والتعبير والاجتماع ذلك أن كل عمل عام هو عمل سياسي. يقول أرسطو"منذ أربع قرون قبل الميلاد– إن السياسة هي أن يتجاوز اهتمام الإنسان شأنه الخاص إلى شأن الجماعة، فياله من نبل"!

وبهذا المعنى لابد لنا كلنا أن نكون سياسيين، فالسياسة هي الاهتمام بالشأن العام، فأنا فقط لا أهتم بشأني الخاص، أو بأولادي، أو بحضانة أطفالي بل بحضانة أطفال الآخرين، بالشارع الذي يسير فيه الآخرون، بحق الناس في رصيف آمن، وبحق الناس في أن يعيشوا بلا قمامة وبحق الناس في أن يعيشوا في مناخ من الحرية.

اذن لابد وأن ينظر مشرع هذه القوانين للعمل الأهلي باعتباره عملاً نبيلاً، وأن هناك إنساناً قرر أن يتجاوز حلمه الفردي وانطوائه على ذاته وعلى مصلحته، وأن يمنح الحياة، هذا المتطوع من أنبل الناس الموجودين على الأرض، إنسان يتطوع بجهده وخبرته أو بعلمه أو بماله أحياناً من أجل آخرين، من أجل أن يحسن الحياة أو نوعية حياة المجتمع الذي يعيش فيه–

إن معظم المشتغلين بالعمل الأهلي التطوعي هم من خيرة أبناء هذا البلد، بينهم علماء وباحثون، أطباء ومهندسون، سيدات ورجال، وشباب وكهول وشيوخ تمتلئ قلوبهم بحب الخير، تتشابك أياديهم من أجل صالح الوطن والإنسان وهم يستحقون التقدير والاحترام ويطمعون في أن يعاملوا نفس المعاملة التي تحظى بها الجمعيات الأهلية في بلاد.

المخارج

أولاً: من الذي اقترح تعديل المادة الثالثة من قانون مباشرة الحقوق السياسية التي حظرت ترشح قيادات وأعضاء الجمعيات السياسية الفعليين المنحلة لمجلس النواب، ومن الذي اقترح تعديل المادة (43) من قانون الجمعيات الأهلية، التي حرمت غير المتمتع بحقوقه السياسية من أن يكون عضوا في مجلس الإدارة؟

الذي اقترحهما وأقرهما هو مجلس النواب في فصله التشريعي المنصرم. إذن من الناحيتين القانونية والدستورية فإن مجلس النواب في فصله التشريعي الحالي هو المعني باقتراح وإقرار إلغاء هذه التعديلات، غير أن هذا الحل مستبعداً في الحال وفي المستقبل في ظل تركيبة المجلس وفي ظل النظام الانتخابي المعمول به فليس من مصلحة معظم أعضاء المجلس التقدّم بمثل هذا الاقتراح.

ثانياً: التمسك بالنظام الأساسي الداخلي للجمعية

الأهلية الذي يحدد شرائط من يترشح لمجلس الإدارة، فالنظام الأساسي للاتحاد النسائي على سبيل المثال تحددها المادة (38) حين نصت على أنه يشترط في عضوية مجلس الإدارة ما يلي:

أن تكون عضوة بإحدى الجمعيات المكونة للاتحاد.

أن تكون حسنة السيرة والسلوك.

أن تكون مشهود لها بالنشاط والفاعلية في مجال العمل النسائي.

أن تكون سددت الرسوم للجمعية التي تتبعها قبل موعد الانتخابات بشهر على الأقل.

أن تكون قد مضى سنة على انضمام الجمعية التي تتبعها العضو للاتحاد

أن تكون متمتعة بحقوقها المدنية.

فليترشح لمجلس الإدارة من تتوافر فيه الشروط الذي ينص عليها النظام الأساسي لأي جمعية أهلية، غير أن هذا الحل محفوف بالمخاطر، ذلك أن المشروعية القانونية ترى أن القانون يأتي في مرتبة اعلى من لائحة النظام الأساسي الذي يتعين أن لا يخالف القانون، بل ان هذا القانون ينص في المادة (47) على حق الوزير المختص إذا تبين له أن انتخاب أعضاء مجلس إدارة الجمعية قد وقع باطلاً لمخالفته نظام الجمعية أو القانون كان له إلغاء هذا الانتخاب، وفي هذه الحالة تعاد الانتخابات وفقا لنظام الجمعية خلال شهر على الأكثر من تاريخ إلغاء الانتخاب.

بل أكثر من هذا فإن المادة (4/50) تجيز لهذا الوزير حل الجمعية إجباريا أو اغلاقها إداريا بصفة مؤقتة لمدة لا تزيد على خمسة وأربعين يوما بقرار منه في حالة إذا ارتكبت مخالفة جسيمة للقانون، ويبلغ قرار الوزير المختص بالحل أو الغلـق المؤقـت للجمعية بخطاب مسجل وينشر في الجريدة الرسمية. وللجمعية ولكل ذي شأن الطعن في قرار الحل أو الغلق المؤقت أمام المحكمة الكبرى المدنية خلال خمسة عشر يوما من تاريخ نشر القرار في الجريدة الرسمية. وتفصل المحكمة في الطعن على وجه الاستعجال.

وليس هناك ضمان وتأكيد على أن المحكمة الكبرى المدنية ستنتصر لمن يطعن في قرار الحل أو الغلق رغم عدم دستورية تعديل المادة (43) من قانون الجمعيات الأهلية، وتعديل المادة الثالثة من قانون مباشرة الحقوق السياسية وعلى النحو الذي أشرنا إليه فيما سلف.

ثالثاً: إذن في ظل عجز مجلس النواب عن القيام بدوره التشريعي، وفي ظل وجود النصوص القانونية التي تحكم العمل الأهلي وتقيده، وفي ظل اختلال ميزان القوى فإن هذه الظروف تحتم على جمعيات العمل الأهلي ان تتعاطى مع هذا الواقع بالمحافظة على وجود مؤسسات المجتمع المدني في الحياة، فليترشح لمجلس الإدارة من يتمتع بحقوقه السياسية حسب منطق القانون، ولينخرط الأعضاء في لجان وهيئات الجمعيات الأهلية، وهذا التعاطي مع الواقع لا يعني الركون اليه، بل نسعى بالوسائل المتاحة إلى تغييره.

عبدالله خليفة ..
حياة حافلة بالإبداع حتى آخر رمق

لم يعد الجسد يسعفه مثلما كان في الزمن المنقضي، ومع ذلك أصبح أكثر التصاقاً بالكتاب والكتابة، فحتى وهو على فراش المرض كان الكتاب والقلم ملازمين له، فأنتج العديد من الروايات والقصص القصيرة، ودراسات في النقد الادبي والفكري والسياسي والفلسفي، وكأنما كان يود أن يُقدم أقصى ما يستطيع ويرحل، هو الذي قدّم لوطنه الكثير من الإبداع في مشوار حياة قصيرة.

حميد الملا

عبدالله خليفة واحد من المناضلين الذين تصعق عندما ترى بأن الواحد منهم وبعد خروجهم من السجن، تقفز الأمراض على أكتافهم وتهاجمهم كالافاعي لتنهش أجسادهم النحيلة ليسقطوا الواحد تلو الآخر، إما بالسرطان أو بأمراض أُخرى لا تقل فتكاً، إنها تداعيات السجن وأهوال التعذيب وظلمة الزنازن والكوابيس ومعاناة فراق الأحبة وآثار العزلة عن العالم الخارجي.

لم يستطع أخوه عيسى أن يجفف دموعه التي انهمرت مثقلة بالحنين والحزن، وقال قبل أن يجيب عن سؤال الصحفي له عن آخر كتاب قرأه عبدالله قبل رحيله: "أحسست أن قلبي يمتلئ ويفيض بالألم وأظن إن الجروح التي أوقعها موت أخي قد تقرحت منذ ذلك الحين ومن ثم أجاب: "وجهان لحواء " لأمريتا بريتام، رواية وجدتها بالقرب من وسادته، وآخر ما خطّه في المستشفى، وهو على ما يبدو محاولة البدء بكتابة رواية، حيث كتب: "تأتي الريح وتقدفه بعيداً بين أشجار العصافير وأجنحة النسور...يمضي مع الورق المتطاير من الصخور وثلل بشرية خريفية تتساقط في المدن ...يشق طريقه تترامى قراطيس كثيفة له في الأزقة ...الخ".

أصدقاء ومحبو عبدالله كانوا في دهشة عند سماعهم بمرضه، واحتاجوا لزمن طويل ليستوعبوا ما جرى، حيث كان عبدالله كتوم ويختصر عليك عناء الكدر ليكابد عناؤه دونما حاجة لتعكير صفو تفكيرك. هي حالة لا تجدها الا عند القليلين من البشر الصبورين على آلآمهم. أظن بأنك يا عبدالله كنت منهكاً ومتعباً، ولكن عزّة النفس والكبرياء فيك جعلتك تخفي ذلك المرض، وكان بإمكانك أن تخاتل الأقدار بقليل من الحذروالحيطة، ولكن هي مسارات الحياة، فكنت رجلاً حالماً بالتغيير ككل رفاقك، ولهذا كنت في حركة دؤوبة لتقديم أكثر ما يمكن من إنتاج أدبي وفكري.

آن الأوان لأحني رأسي قليلاً تقديراً لهذا الإنسان الذي يمتلك كل مقومات النبوغ، ففي حياته القصيرة تلك أصدر العديد من الكتب تجاوز عددها الأربعين مؤلفاً وستة عشر رواية أخرى تحت الطبع. ومن مؤلفاته سواء ما صدر منها أو لم يصدر بعد: رواية "الينابيع" بأجزائها الثلاثة، "الصوت"، "الماء الأسود والفيضان"، "ذهب مع النفط"، "امرأة"، "عمر بن الخطاب شهيداً"، "عثمان بن عفان شهيداً"، "علي ابن أبي طالب شهيداً"، وفي الجانب الفكري صدر له "الاتجاهات المثالية في الفلسفة العربية والإسلامية" بأجزائه الأربعة "رسائل عبد الناصر السرية"، "ابن السيد"، "خليج الأرواح"، "دوار اللؤلؤة"، "بورتريه قصاب"، "حورية البحر"، "كوابيس الحجاج"، "الأرض تحت

أنتج العديد من الروايات والقصص القصيرة ودراسات في النقد الادبي والفكري والسياسي والفلسفي

قدّم لوطنه الكثير من الإبداع في مشوار حياة قصيرة

فصل من التدريس على إثرالدور البارز الذي كان له في تشكيل نقابة للمعلمين في العام ١٩٧٤

تم اعتقاله في العام ١٩٧٥ ظل في السجن ست سنوات حتى العام ١٩٨١

الأنقاض"، "مصرع أبي مسلم الخرساني"، "عروس البحر"،"عزازيل وشركاؤه"، "سيدة شهاب"، "ضوء المعتزلة"، "شاعر الضياء" وغيرها، وبقي على رأس قائمة الكتاب المبدعين الأكثر عمقاً وغزارة حتى وهو في السجن الطويل، حيث لم ينقطع يوماً عن الكتابة.

هل لنا أن نتصور كم كان مهموماً بالكتابة باندفاع يفوق طاقته، وهو الذي أضناه المرض الذي لايرحم بعد أن تمكّن منه وتمدد في جسمه، ومع ذلك أبى ألا يستسلم، وكأنما كان يخوض حرب شعواء ضد هذا المرض بمزيد من الكتابة، التي كانت بالنسبة له هي أن تبصر وتخرج الأشياء إلى الحركة وتبعث الدماء في روح الكلمات لتشيع الأمل في النفوس وتلامس فيها الفرح. كان مهموماً بالوجع البشري وبأحلام الفقراء وبرغيف الكادحين وبمعيشة المحرومين وبآمال المضطهدين وحكايا الغواصين، زرع فيهم جذوة النضال بكتاباته وصاغ لهم شعارات التمرد على أوضاعهم المزرية.

عاش عبدالله خليفة وترعرع وتربى في أحضان عائلة فقيرة بمنطقة القضيبية. قاسى في صباه شظف العيش، إلا إنه استطاع أن ينهي دراسته في معهد المعلمين ليعمل مدرساً، ليُفصل من التدريس على إثرالدور البارز الذي كان له في تشكيل نقابة للمعلمين في العام 1974 ويعتقل في العام 1975 ويظل في السجن ست سنوات حتى العام 1981.

صغيرة هي البحرين في مساحتها، كبيرة بنسائها ورجالها المبدعين، وعبدالله خليفة أحد هؤلاء الذين أفنوا عمرهم في خلق وعي مختلف، وعي تقدمي في وسط ممسوس بالخرافات والتهريج، تعشعش فيه الأفكار الظلامية، التي خاض ضدها صولات وجولات فكرية، مصمماً على ألا تترك الساحة للمهرطقين والجهلة والدجالين، فكان قلمه سيفاً مسلولاً فاضحًا ألاعيبهم، مستعيناً بلغة الوهج بدفء العاشق للحرية والحب والخير والجمال. كتب ما كتب وأبدع أيما إبداع بروح لا تعرف المهادنة ولا المرواغة ولا الاستسلام لمال السلطان، فعاش ومات حراً نقياً أبيا مرفوع الرأس دوماً، قادراً على نسج أفكاره وتحليلاته.

عندما يكون الإنسان ممسوساً بالكتابة، فإنه بالتأكيد يحمل حملاً ثقيلاً لا يقدر عليه سوى قلة، وعبدالله خير مثال، حيث سهر على إيصال الكلمة للمتلقي ليضيف جديداً إليه ويزوده بالمفيد. كان الظمأ للعلم والمعرفة ساكناً في أعماقه وعقله، وإلى ذلك كان ناشطاً ثقافياً، مما أهله لأن يصبح في الصفوف الأمامية من الأدباء والكتاب المتألقين الذين لا يشق لهم غبار.

شيء ما يتآكل في داخلنا، إننا نموت بالتقسيط بشكل متجزء بعد كل هذه الخسارات لرفاق قدموا عصارة جلّ ما يملكون من أجل وطن لايرجف فيه الأمل، لا يكون فيه للخوف محل، ولاّ للطائفية فيه موطئ قدم، ولكن هيهات أن يتركوك، فجحافل من الموتورين لك بالمرصاد، ولكنك يا عبدالله تجاوزت بشفافيتك وشفافية الكلمة مسافات العذاب البشري، وعجنت كلماتك بالأمل وقدمت اطروحاتك الأدبية والفكرية لتصبح متميزاً، فحروفك تراقص الحياة وتبحث عما يلامس الواقع ويغوص في التنقيب عن جذورالمشاكل التي تواجه الوطن والمواطنين، فآمنت بأسمى الأفكار التقدمية ونشرت مبادئها عبر كتاباتك فأينعت بذورك أشجاراً للحرية والعدل والمساواة ورفع الظلم عن البشر، انها مهمة شاقة وعسيرة ولكنك كنت أهلاً لها.

أشياء فيك أيها الكبير البهي ستبقى عالقة في الذاكرة وفي صلب نار الحقيقة مع الذين قاسموك الشوق والحب والخوف على تفتت الوطن وتشرذم المواطنيين إبان أحداث فبراير 2011 وما خلفته للوطن من ندوب، ولم تغادر أشعة التشبث بالحياة قلبك وعينيك.

عندما فتح عيسى عينيه فجأة خشية أن يكون قد غفا ليجد بإنه لا إشارة لوجود حياة لأخيه بعد أن تحسسه،غامت الدنيا في عينيه وشعر بالألم يزحف من قلبه إلى رأسه وبكى بحرقة وقال: كيف تجرأ هذا المرض الخبيث أن يأخذ مني أعزّ حبيب وكان ذلك في يوم أفقد جميع محبي عبدالله صوابهم صادف في الثلاثاء الحادي والعشرين من اكتوبر 2014.

متى تصبح «كورونا» نسياً منسيا؟

نعيمة السماك

ابتهجت كثيراً وأنا أراقب حالات انخفاض أعداد المصابين بفيروس كورونا في البحرين. ولاحظت أن الانخفاض قد بدأ منذ النصف الثاني من شهر يونيو الماضي، وتواصلت حالات الانخفاض خلال شهري يوليو وأغسطس أيضاً، وربما شجع انخفاض الحالات الناس على الاطمئنان والبدء بالخروج التدريجي، كما تواصلت حالات الحثّ على أخذ التطعيم من قبل الفريق الوطني للتصدي للوباء.

ومن لا يتمنى أن ينحسر هذا الوباء الى الأبد! فقد أذاقنا أشدّ المرارات واحدة تلو الأخرى، وفقدنا بسببه الكثير من الأحبة، وما يزيد الأمر سوءا أنك لا تستطيع حتى تعزية احبابك في فقد أهلهم واحبتهم بشكل مباشر وطبيعي،فأيّ غصة ومرارة أشد من ذلك؟ خاصة في الفترة التي اشتد فيها الوباء وزادت الوفيات من جراءه خلال شهري مايو ويونيو2021.

في زمن الكورونا حرمنا من مباهج كثيرة، كنا قبلا نمارسها بشكل طبيعي وعفوي. وأهمها أننا أصبحنا لا نستطيع ملاقاة أحبابنا بشكل طبيعي. أسر كثيرة حرمت من لقاءاتها الأسبوعية خلال إجازة نهاية الأسبوع يومي الجمعة والسبت خوفا من الإصابة بالفيروس، فحرم الكثير من الآباء والأمهات من ملاقاة أبنائهم، وشعروا بالعزلة والخوف والقلق.

من المتعارف عليه في البحرين ودول الخليج والدول العربية أن تتجمع الأسر على وجبة الغذاء او العشاء في نهاية الأسبوع، ولكن هذه العادة انقطعت عند أسر كثيرة طوال سنة ونصف السنة تقريباً، أما بعض الأسر التي جازفت واجتمعت فقد وجدنا أن الوباء انتشر بين الكثير من افرادها، لكأنه يريد أن يعلمنا درساً قاسياً ويقول: أنا لكم بالمرصاد إن اجتمعتم.

كثير من الأسر فقدت أحبّة لها وودعتهم بالدمع، بل ولم يتسن لها حتى إلقاء نظرة الوداع الأخيرة على وجوه أحبتها قبل مواراتهم الثرى. وبشكل او بآخر جميعنا تضررنا من الجائحة، حتى تلك الأسر التي منَ عليها الله بعدم فقد أي من افراد عائلتها.

وكنت أحسب أنه ما دامت أعداد الإصابات قد انخفضت في البحرين فإنها ستنخفض حتما في الدول الأخرى أيضاً، ولكن خلافا لتوقعي ارتفعت الحالات في بريطانيا، إندونيسيا، وفي دول أخرى كثيرة.

فيما كنت أراقب حالات الانخفاض، وأراقب الناس التي اعتادت ارتداء الكمام، وأصبح جزءا من رويتنها اليومي، تساءلت هل ستختفي جائحة كورونا من العالم نهائيا والى الأبد، فلا تعود هناك حاجة لارتداء الكمام؟ ونستطيع الخروج او الجلوس مع الأحبة بدون خوف أو وجل، وبالتالي تنطوي هذه الصفحة المؤلمة في تاريخ البشرية، وتصبح نسياً منسيا؟!

(قف)

بايدن يتطلع لموافقة بوتين

فهد المضحكي

فشلت الولايات المتحدة في تحقيق أهدافها من غزو أفغانستان وانسحبت بعد عقدين كاملين والآن ترتبط أي خطط مستقبلية تسعى إدارة بايدن إلى وضعها بموافقة بوتين، الذي وصفه بايدن «بالقاتل».
فمنذ إعلان الرئيس الأمريكي أن بلاده ستنهي انسحابها من أفغانستان قبل الذكرى العشرين لهجمات ١١ سبتمبر / أيلول ٢٠٠١، يسعى كبار المسؤولين في إداراته إلى التوصل لاتفاق مع أي من دول اسيا الوسطى المجاورة لأفغانستان، للسماح بتمركز قوات أمريكية قادرة على التدخل لمنع ما قد تراه واشنطن تهديداً لها مصدره أفغانستان، لكن تحتاج الولايات المتحدة إلى مساعدة من «خصم ازلي» حتى تتمكن من تخليص نفسها من أطول حرب خاضتها والمقصود هنا هو الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، بحسب تقرير لمجلة "political" الأمريكية ترجمة "عربي بوست".

يذكر التقرير أنّ إدارة بايدن تواصلت في الأسابيع الأخيرة بهدوء مع حكومات أسيا الوسطى، أملاً في استخدام واحدة أو أكثر من أراضي هذه الدول لاستضافة قواعد لها، بعد اكمال الانسحاب من أفغانستان، اذ لدى الولايات المتحدة مطلبان أساسيان: مركز انطلاق كي تواصل من خلاله مايحدث في أفغانستان، واستضافة مؤقتة لآلاف الأفغان الساعين للحصول على تأشيرات إلى الولايات المتحدة.

وكان المقترح حاضراً ضمن الأجندة عندما التقى وزير الخارجية انتوني بلينكين في مقر وزارة الخارجية بنظرائه من طاجكستان وأوزبكستان اللتين تعدّان الدولتين الأقرب من بين دول آسيا الوسطى الست التي ينظر إليها مخططو الجيش الآمريكي من أجل تنفيذ هذه الخطوة وذلك وفقاً لمصدر من الكونغرس.

تجاور كلتا الدولتين افغانستان، ويمكن ان تسمح كلتاهما بدخول أفغانستان مرة أخرى اسرع من القواعد الامريكية الموجودة في الشرق الأوسط ومن حاملات الطائرات المتمركزة في مياه الخليج التي تبعد مئات الاميال.

يتمثل المأزق الأمريكي في كل هذه التحركات في قدرة موسكو على استخدام نفوذها الاقتصادي والعسكري في المنطقة لتعطيل هذه المخططات، وذلك حسبما يقول مسؤولون وخبراء امريكيون.

لن تكون هذه المرة الأولى التي تتمركز فيها القوات الأمريكية في أسيا الوسطى دعماً للحرب الأفغانية، لكن احتمالية الوصول إلى اتفاقية كهذه مع إحدى دول آسيا الوسطى تبدو غير محتملة الآن، بالنظر إلى تعكّر صفو العلاقة بين واشنطن وموسكو التي وصلت إلى أدنى مستوياتها منذ الحرب الباردة.

والقصة هنا تتعلق بكون غالبية الدول التي "تغازلها" واشنطن حالياً تعتمد على روسيا - وعلى الصين بدرجة ما - على صعيد الصادرات وكذلك المعدات العسكرية والتدريب، أذ تحتاج جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابقة إلى موافقة ضمنية من موسكو تسمح للقوات الامريكية بالتمركز فوق أراضيها.

فالعلاقات التي تجمع دول آسيا الوسطى بروسيا تصعب من طلب الولايات المتحدة منها استضافة آلاف المترجمين الأفغان والآخرين الذين ساعدوا القوات الامريكية خلال الحرب.

قال تيمور عمروف مستشار الأبحاث في مركز كارنيغي في موسكو ل " politico' إن روسيا لا تطلب من مواطني البلاد التي ترجو أمريكا تنفيذ مخططها فيها، الحصول على تأشيرة لدخول البلاد - وهي أوزبكستان وطاجيكستان وكازخستان - ولذا سوف يتوجب على موسكو إضافة المزيد من التدابير الأمنية للسيطرة على الحدود، فضلاً عن أن الأوضاع الاقتصادية المتدهورة والموجه الأخيرة من الجانحة تعني ان هذه البلاد لن توافق على الأرجح على قبول المزيد من المهاجرين.

عندما ما يتعلق الأمر بتمركز القوات الأمريكية، فمن المؤكد أن روسيا لن تقبل الفكرة بسماحة، مع أن طاجيكستان لديها تاريخ يشهد على العمل مع الولايات المتحدة، بما في ذلك السماح لطائرات الحيش الأمريكي بالتزود بالوقود من مطارات البلاد في اعقاب هجمات الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول.

ومن بين الدول المجاورة لأفغانستان - وهي الصين ايران وباكستان واوزبكستان وتركمانستان - تبدو الخيارات المتبقية محدودة أمام واشنطن، فبعد استعباد الصين وإيران من الحساب أغلق رئيس الوزراء الباكستاني - عمران خان - الباب بعبارات لا لبس فيها أمام احتمالية تمركز القوات الأمريكية في البلاد.

اما تركمانستان التي وصفها عمروف بأنها "كوريا الشمالية" في آسيا الوسطى فلم تعرب عن أي اهتمام بالتعاون مع الولايات المتحدة على صعيد الصراع في أفغانستان، بل الأكثر من ذلك أنها أكثر اعتماداً على بكين من بقية جيرانها.

تشكل أوزبكستان اذن أكثر الفرص الواعدة بالنسبة للبلاد التي تشترك حدودها مع أفغانستان، إذ انها أقل اعتماداً على روسيا والصين من الدول الأخرى، وليست عضواً في منظمة معاهدة الأمن الجماعي، وهو تحالف عسكري من بعض جمهوريات الاتحاد السوفياتي السابقة ولا تستضيف أي قواعد عسكرية اجنبية، وفي غضون ذلك أعاد الرئيس شوكت ميرضيايف العلاقات مع الولايات المتحدة حتى أنه زار واشنطن مؤخراً.

غير أن احتمالية استضافة قوات أمريكية في أوزبكستان بعد الإنسحاب سوف يُقابل على الأرجح بمعارضة شديدة من كل موسكو وبكين، وكذلك من المجتمع الأوزبكستاني، ما يجعل إدارة بايدن تنظر إلى أبعد من هذا المحيط مثل "قيرغيرستان" التي لا تشارك حدوداً مع أفغانستان لكنها لديها تاريخ من استضافة القوات الامريكية بيد ان قيرغيرستان مثل طاجكستان تعتمد اعتماداً كبيراً على تحويلات الأموال التي يرسلها العمال المهاجرون إلى روسيا، وعلى الاستدانة من الصين.

وفي غضون ذلك، تبدو كازخستان خياراً أقلّ جدوى، نظراً إلى أنها تقع بين روسيا والصين، وتعدّ أقرب حلفاء موسكو وأحد أكبر الشركاء التجاريين للصين في المنطقة، بجانب أن بعدها عن أفغانستان يجعلها موقعاً أقلّ حيوية بالنسبة للقوات الامريكية لكن الطريقة الوحيدة في العموم لدى إدارة بايدن للوصول إلى اتفاق لتستضيف إحدى دول آسيا الوسطى قاعدة للقوات الامريكية على أراضيها، تكمن في اقناعها بأن من المزايا السياسية والمالية لهذا التعاون سوف تتجاوز الخسائر الأكيدة التي ستتكبدها دول آسيا الوسطى بكل تأكيد نتيجة رفض روسيا والصين، ولا يمكن وصف آسيا الوسطى بأنها أولوية للسياسة الخارجية للولايات المتحدة في الوقت الحالي تستوعب آسيا الوسطى أن الولايات المتحدة ليست مستعدة لموازنة ثقل روسيا والصين في المنطقة لكنها تحتاج إلى آسيا الوسطى من أجل المصالح قصيرة الأمد.

كوبا صامدة
بوجه المكائد الأمريكية

في الأول من يناير القادم ٢٠٢٢ تحتفل كوبا الصمود بالذكرى ٦٣ لانتصار الثورة الكوبية، عندما قاد فيدل كاسترو ورفيقه جيفارا مجموعة من الثوار على قوارب لدخول هافانا عاصمة كوبا والإطاحة بالدكتاتور باتيسيا الذي حوَّل كوبا إلى ماخور يمارس فيه الأمريكان الأثرياء وغيرهم لعب القمار والدعارة . ومنذ انتصار الثورة في كوبا والإمبريالية الأمريكية تفرض عليها حصاراً عسكرياً، اقتصادياً، سياسياً، مالياً، تريد منه خنق كوبا وإسقاط النظام الاشتراكي ولكن الثورة الكوبية صمدت على مدار أكثر من ستين عاماً وستظل صامدة أمام المؤامرات الأمريكية .

فاضل الحليبي

تعرضت كوبا لتحديات عديدة منها ما عرفت بأزمة «خليج الخنازير» بعد وضع الاتحاد السوفييتي صواريخ موجهة نحو الولايات المتحدة الأمريكية في عام 1961، وكادت تندلعُ حرب نووية مدمرة، قبل أن تحل الأزمة بالحوار بين السوفييت والأمريكان وتنفس العالم الصعداء من جديد، والأزمة الثانية الصعبة جاءت بعد انهيار الاتحاد السوفياتي في عام 1991 وقبله تفكك دول المنظومة الاشتراكية في عام 1990، اعتقد الأمريكان وحلفاؤهم بأن الدور قادمٌ على كوبا الاشتراكية، ولكنها من جديد تصمد لمدة ثلاثين عاماً على انهيار التجربة الاشتراكية في بلدان أوروبا الشرقية والاتحاد السوفياتي، وتواصل مسيرتها الثورية في تعزيز الصمود والتحدي لمواصلة المسيرة النضالية والاشتراكية التي بدأت منذ 1959، بالاعتماد على طاقات وقدرات شعبها الذي أثبت بأنه متمسك بخياره الاشتراكي بالرغم من الصعوبات والتحديات الكبيرة التي تعترض طريقه في البناء والتقدم والاستقرار.

ومع أوضاعها الصعبة تمد كوبا يد المساعدة للشعوب والبلدان معبرة عن التضامن الأممي مع تلك الشعوب والبلدان بما فيها المحسوبة من ضمن الفلك الأمريكي في أوروبا وبعض البلدان في ظل جائحة كورونا عندما تخلت عنهم الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي لتواجه مصيرها لوحدها، فهذه هي طبيعة الفكر الرأسمالي القائم على استغلال ونهب خيرات ومقدرات البلدان والشعوب، فكر يرسخ مفاهيم حب الذات والأنانية عند الفرد ، بعكس الفكر الاشتراكي الذي يرسخ المفاهيم والقيم الإنسانية القائمة على المساواة والعدالة الاجتماعية وتعزز روح الأخوة والتضامن الأممي مع الشعوب والبلدان الفقيرة والغنية منها، لهذا تلجأ الإمبريالية الأمريكية مابين الفينة والأخرى لزعزعة الاستقرار والأمن في كوبا تحت عناوين مختلفة، لخلق حالة من التذمر والتحريض على النظام الاشتراكي، ولكن وعي القيادة والشعب الكوبي يسقط تلك المخططات والمؤامرات في كل مرة تحرك فيها الإمبريالية الأمريكية وأجهزتها الاستخباراتية أدواتها في كوبا، ومن هذا ما حدث عندما عملت الدوائر الأمريكية وأدواتها على تحريض فئات من الشعب الكوبي في شهر يوليو الماضي ضد النظام الكوبي مستغلة الوضع الاقتصادي والسياحي الذي تفاقم بسبب جائحة كورونا.

يحتاج النظام في كوبا لإدخال بعض التغيرات والتحديثات ولكنه يحتاج إلى أموال كبيرة وهو يعيش الحصار منذ ستين سنة وجاءت جائحة كورونا لتفاقم الوضع المتأزم، بالرغم من أن كوبا لديها نظام صحي يضاهي دولاً متقدمة في العالم وهناك الآف الأطباء الكوبيين العاملين في كوبا وفي العديد من بلدان العالم، بشهادة منظمة الصحة العالمية بأن النظام الصحي لديها من أفضل النظم الصحية في العالم .

بالنسبة للأحداث الأخيرة قال اَرويل سانشير صحفي كوبي ومدير مجلة ورئيس مجلة هيريبيبيا الكوبية للميادين نت، إن كوبا تتعرض لحرب غير تقليدية حيث تقوم مواقع التواصل الاجتماعي ووسائل الإعلام بلعب دور يرتبط بشكل مباشر بالحرب الاقتصادية، ولفت إلى أن هذه الحرب الاقتصادية تخلق العديد من الصعوبات والحاجات لدى السكان وهنا يكون دور وسائل الإعلام تهميش عواقب الحرب الاقتصادية كمسبب رئيسي للوضع الصعب الذي تعيشه البلاد، وإظهاره كنتيجة لتقصير حكومي من قبل الدولة الكوبية، وعدم رضا الكوبيين عن الوضع الراهن والنظام السياسي والاجتماعي، كما أشار إلى أن تغيير صورة الأحداث في البلاد وإظهارها وكأنها فقدت السيطرة على الحكم من أجل تبرير تدخل إنساني لأهداف سياسية وهو ما يقوم به اليميني المتطرف من مدينة ميامي الأميركية والمافيا الكوبية الأميركية".

هدف التدخل الإمبريالي الأمريكي في كوبا واضح، وهو إسقاط النظام الاشتراكي هناك، وهو ما عجزت عنه كل الإدارات السياسية الحاكمة في البيت الأبيض في الولايات المتحدة الأمريكية منذ عام 1959 وحتى اليوم، وسوف يفشل الشعب الكوبي تلك المؤامرة ويعزز ويطور من نظامه الاشتراكي ليواكب العصر الحالي نحو الرقي والتقدم ، مثلما تحقق بعض الأحزاب اليسارية والاشتراكية في أمريكا اللاتينية الانتصار تلو الانتصار في بلدانها ، فتأثير الأفكار الاشتراكية لازال قوياً هناك، ولن تستطيع الإمبريالية الأمريكية وقف ذلك المد الذي يستند على الإنسان وإرادته في التخلص من الاستغلال والظلم ورفض الهيمنة والاستعباد من قبل الرأسمالية ، سيبقى النظام الاشتراكي في كوبا صامداً بإرادة شعبه وتضامن الشعوب المناضلة معه.

وضع لبنان كما رأيته

عندما وطأت قدمي مطار بيروت، بدت غمامة على عيني، رغم سعادتي للقاء حبيبتي وزوجتي، إلا أن سلبية الوضع في بيروت قد استشرت، من انقطاع الكهرباء، وشح الوقود، فيما الدولار والاسعار في ارتفاع، أما الرواتب ففي ركود، والأحزاب السياسية في صراع دائم، ولا وجود لحكومة فعلية منذ زمن.

نعم هذا هو لبنان بعد مئة عام تقريباً من حكم الطوائف المتنامي الذي بلغ درجة من الديكتاتورية، بحيث بات يعيش في انفصام تام عن نصوص الدستور والقوانين والمواثيق، لبنان بات «منهبة» منظمة، فالإنقسام هو القاعدة، فيما لبنان «الوحدة الوطنية» نادر الحديث عنه، المسيحيون في طرف والمسلمون في طرف مضاد، السنة في موقع والشيعة في موقع مضاد، والأخرون لا يحسب لهم حساب، حساب الطائفية هو الامتحان، العلمانيون صوت فقط..

ظنّ لبنان أن ميثاق الجامعة العربية يعصمه عن المحاور، ولكنه فشل فشلاً كارثياً. فشل اللبنانيون في بناء الدولة، فشل المسيحيون في تأمين ملجأ آمن يمارسون فيه حياتهم بحرية، فشل المسلمون السنة في الانتساب إلى لبنان وحده، هم قادمون من تراث عربي- إسلامي، ظلوا لبنانين قليلاً، ومسلمون وعرباً كثيراً، ما كان الشيعة مدعوين لتكوين كيان، الحقوا به عنوة بعد طحن ثوراتهم في جبل عامل... فشلوا جميعاً في إقامة نسيج وطني، وبتراجع دور الأحزاب العلمانية، فقد لبنان كل أمل بالتحسين قبل أي أمل بالتغيير، غالبية الأحزاب العلمانية أغرتها السياسة من داخل النظام، النظام ابتلعها ثم ... لم يبق لها سمعة حسنة إلا ماضيها، حاضر هذه الأحزاب عاطل عن العمل.

اثناء هذه الزيارة قرأت الواقع في لبنان بمنظوري ومن خلال مشاهداتي اليومية وانتظاري ساعات في محطات البنزين وبين تصريفي للدولار في السوق السوداء وبين فتح واغلاق مولد الكهرباء وتوقيت فتح كهرباء الدولة الذي يستمر سويعات فقط من فتحه، للصعود بسرعة بالمصعد لبيت عمي بالطابق الخامس الذي يعمل بالموتور ويبلغ سعر اشتراكه الشهري مليونين وثمان مائة ليرة لبنانية اي ما يعادل 100 دولار امريكي لسعة 15 امبير لعائلة لا تملك راتباً شهرياً يعادل هذا الاشتراك الشهري، وأيضاً يتم اراحته لساعتين في اليوم، وهذا إن توفر المازوت وصاحب المولد الكهربائي استنهض مشاعره الإنسانية.

الوضع في لبنان يحتاج التفكير بعمق من الشعب وليس من أمراء الحرب والطوائف. الحل في يد المواطن اللبناني الشريف الذي يخاف على بلاده من شمالها إلى جنوبها وليس المواطن الذي يدافع عن طائفته. الحل من داخل هذه الأرض وبالاستثمار في المواطن وليس من خلال دعم اقليمي أو دولي، جميعهم يريدون مصلحتهم وجميعهم يريدون وضع إبرة مخدرة مؤقته لتخدير الجرح العميق أو الألم الذي سببته العملية الجراحية غير الناجحة – اتفاقية الطائف – حيث بدأ لبنان اليوم بالاستيقاظ من هذا التخدير الذي تم حقنه به قبل 39 سنة في عملية فاشلة أدت إلى ما يعيشه الشعب اللبناني في الوقت الراهن.

"تمّ إذلالنا، لماذا هذا الغضب من الدول الشقيقة علينا، لماذا لا تأتي فرنسا تستعمرنا مره ثانية، السوريون هم السبب، عون، بري، السيد، جنبلاط، الحريري، جعجع، وكتائب كل هذه مصطلحات أسمعها يومياً، ولا أجد من يقول نحن من أوصلنا هذه العصبة للكراسي، ولهذه الزعامة الوهمية.

قد يكون الشعب اللبناني عاش وكبر مع هذه الزعامة وهذه الأزمات وجُبِل لأن يُحكم بالوكالة، وان يعيش تحت ظل اللاعب الأبرز اقليمياً. وقد جاء الوقت الذي تنازل عنه أكبر داعميه في المنطقة، بسبب تغير المصالح الإقليمية.

لا أمل يتطلع إليه الجيل الجديد، فهو يحلم بالسفر والهجرة، لبنان رصيف لا وطن، شباب لا يراوده حلم، لا تغريهم فكرة، لا يعتزون بإنجازاتهم، وباتوا بضاعة بشرية للتصدير. الحاكمون، ولا أسوأ ولا أفجر منهم فاسدون ويتباهون بالفساد. لا شيء يخجلهم.

محمد شاهين

مسارات تحوّل العراق إلى فاعل إقليمي

إيمان الشيخ

بهدف صياغة استراتيجية وطنية لعراق فاعل ومؤثر في المنطقة العربية وفي العالم عقد مؤتمر حوار بغداد الدولي الرابع تحت عنوان «استراتيجية التحول إلى دولة فاعلة... أهمية الانسجام الداخلي في ضوء التحولات الاقليمية والدولية»، في الحادي والعشرين من أغسطس الماضي بمشاركة العشرات من المختصين والباحثين من داخل وخارج العراق وبالتنسيق مع العديد من الجهات الرسمية.

قدمت خلال المؤتمر بحثي الذي تناول «مسارات تحوّل العراق إلى فاعل إقليمي"، وهو ما بات متعذرا بعد دخوله في حال من المعضلة السياسية والأمنية والفوضى بسبب فشل الاحتلال الأمريكي في بناء الديمقراطية من جهة، والنفوذ الإيراني المتزايد من جهة أخرى، حيث تحرص إيران على وجود حكومة ترعى مصالحها في العراق.

يضاف إلى ذلك فشل الحكومات العراقية المتتالية في بناء مؤسسات الدولة ومكافحة الفساد وظهور الميليشيات المسلحة التي تحمل السلاح خارج قانون الدولة، وتؤثر سلباً على الأمن، وفشل الدولة في السيطرة على هذه الجماعات.

كان هدف البحث تحديد مسارات تحوّل العراق إلى فاعل اقليمي، عبر تحديد المعايير الدولية في اعتبار الدولة هشة أم العكس، كقدرة هذه الدولة على القيام بمهامها الأساسية، تقديم الخدمات العامة للمواطنين، حقوق الإنسان والتدخلات الخارجية، إضافة إلى توضيح الفرق بين الدولة الراكدة، الهشة والضعيفة من خلال "تجربة العراق" كمثال.

بالإضافة إلى ذلك، تحرى البحث الأسباب والعوامل الداخلية والخارجية التي جعلت العراق دولة هشة وفاشلة، وهي نفسها الأسباب التي تشكّل معوقات لبناء دولة العراق وتحوّله إلى فاعل إقليمي وتحليلها، وهي كما أسلفنا الغزو الأمريكي للعراق، التواجد العسكري الأمريكي والتدخلات الإيرانية فيه بعد عام 2003، الدستور العراقي، النظام السياسي والأحزاب السياسية التي حكمت العراق بعد هذا التاريخ، إضافة إلى الميليشيات المسلحة والحالة الأمنية في عام 2014، عندما غزا تنظيم (داعش) وسيطر على عدة مناطق عراقية.

قام البحث بتقديم المقترحات التي يمكنها أن تحوّل العراق إلى فاعل اقليمي في المنطقة والتي تسهم في بناء دولة العراق، بما في ذلك ضرورة أن تكون الانتخابات المقبلة بعيدة عن التدخلات الخارجية التي تحاول تقويض العملية الانتخابية والديموقراطية من أجل مصالحها. ولا ننسى طبعا المنافسة والصراع الأمريكي الإيراني على الأراضي العراقية والذي يؤثر بشكل رئيسي وسلبي على الوضع السياسي والأمني في العراق.

الطالبان العرب

د. انتصار البناء

شاع في الثمانينات مصطلح الأفغان العرب تعبيرا عن المقاتلين العرب الذين تقاطروا على أفغانستان في تلك الفترة للجهاد ضد الاتحاد السوفيتي، واكتسبوا في تجربتهم الجهادية الهيئة والزي الأفغاني، أما هؤلاء العرب الذين خرجوا علينا اليوم مبتهجين باكتساح جماعة طالبان للعاصمة كابول، معللين فرحهم بأن أمريكا خسرت الحرب في أفغانستان بعد عشرين عاما، وأن طالبان هي جماعة وطنية حررت أفغانستان من الاحتلال وستعيد السمت الإسلامي لأفغانستان، فيمكن وصفهم بالطالبان العرب.

لم يتبين الوضع جليا في أفغانستان. سقط النظام (عموما) بفرار الرئيس وأغلب عناصر الحكومة وعدم إعلانهم عن إقامة أي حكومة معارضة في الخارج. وأعلنت طالبان أنها ستحكم بالشريعة لا بالديمقراطية. وهذه مسألة فضفاضة ستتضح معالمها قريبا.

ما يتعين أن ندركه من معطيات لقراءة المشهد في المرحلة القادمة هو أن التغيير الحاصل في أفغانستان كان نتيجة مفاوضات الدوحة بين طالبان والأمريكان التي بدأت بتأسيس مكتب رسمي لطالبان في الدوحة في عهد الرئيس أوباما. وأن مشهد الانسحاب الأمريكي المذل من أفغانستان لا يعبر عن خسارة أمريكا للمشروع الأفغاني الذي بدأته عام 1979م، ولم ينته بعد.

الأمر الآخر أنه بعد سقوط مشروع دولة (داعش) الذي كشف عن مظاهر مرعبة في فهم وتطبيق تلك الجماعات للشريعة، يجري اليوم الترويج لنسخة محسنة من طالبان، يجيد قياداتها اللغة الإنجليزية، ويعون المصطلحات السياسية والحقوقية، ويعربون عن قبولهم بعناصر الحكومة السابقة وبكافة الخبرات الوطنية، ويتبنون لهجة مخففة ضد المرأة والأقليات الدينية والعرقية. لكن شريطة أن تكون في إطار الشريعة الإسلامية.

والأخطر من كل ذلك أن تمكن طالبان من حكم أفغانستان والاعتراف الدولي بها يعني عودة مشروع الدولة الدينية الرسمي إلى المنطقة. وعودة نشاط الإسلام السياسي بكافة اتجاهاته وتوجهاته. وعرقلة مشروع تطور الدولة العربية المدنية التي تعترف بالجميع، وتحترم كافة الحقوق والخصوصيات والحريات العامة والخاصة.

هؤلاء العرب الذين مارسوا حقهم الطبيعي والمقبول في تأييد دولة طالبان ودعمها معنويا وإعلاميا سيخرج منهم من يطالب بالوصاية على مجتمعاتنا، وتحجيم النساء والأقليات والفنون ومجالات النشر والتعبير، أسوة بالنموذج الحاكم في الدولة الطالبانية.

ما يحدث في أفغانستان هو شأن داخلي. لكن التاريخ لن يمحوَ عشرين عاما من حكم طالبان التي كانت انعكاسا للعصور الوسطى. وكانت نموذجا لعرقلة التعليم والتنمية وتقويض حقوق النساء. وعودة طالبان اليوم هو تمديد للصراع الطويل التي تخوضه هذه الأمة منذ السبعينات ضد الجماعات المتطرفة التي أثرت بأفكارها على استقرار دولنا وعلى مستقبل شبابنا.

الرقمية أعلى أشكال الرأسمالية

حسام ميرو

منذ قرن من الزمان، كان تصوّر المسار الذي يمكن أن تسلكه الرأسمالية مشروطاً بمعطيات تاريخية مستمدة في جزء كبير منها من إرث وتراث القرن التاسع عشر، خصوصاً الإرث العسكري، وليس مستغرباً ألا تذهب قراءة المفكر وقائد الثورة البلشفية الروسية فلاديمير لينين (١٨٧٠-١٩٢٤) إلى أبعد من اعتبار «الإمبريالية أعلى درجات الرأسمالية»، وقد حلّل في كتاب أصدره تحت العنوان ذاته نمو الرأسمالية باتجاه هيمنة الدول الصناعية الكبرى، من خلال توسيع نفوذها الاستعماري، واحتلالها لدول أخرى، لوضع يدها على منابع الطاقة والثروات، ما يجعلها تحوز أكبر سلطة ممكنة في سوق العمل الدولي.

على الرغم من الأزمات الكبرى التي مرّت بها الرأسمالية، بوصفها نظاماً اقتصادياً، إلا أنها تمكنت من متابعة مسيرتها التصاعدية، فبعد أن بدأ العصر الإمبريالي بالتراجع، خصوصاً مع نهاية الحرب العالمية الثانية، ذهبت الرأسمالية نحو مسار مالي، وهو ما بات يعرف بـ«الرأسمالية المالية»، والتي شهدت انتكاسة كبرى في عام 2008، تركت تداعيات كارثية على عدد كبير من الدول والشعوب والشركات، ولا تزال بعض آثارها قائمة لغاية الآن، من دون أن يعني ذلك، حدوث تراجع لهذا الشكل الرأسمالي، بل إن دور هذه الرأسمالية آخذ في التكرّس، بوصفه جزءاً لا يتجزأ من السوق الرأسمالية نفسها، وأساسياً في تكريس نمط آخر من الرأسمالية التي أصبحت أكثر وضوحاً بعد تنامي دور الرقمنة في العالم، وهو نمط الرأسمالية الرقمية، والتي تقوم على صناعة كل ما له علاقة بالعالم الرقمي، من أبحاث وتكنولوجيا وأجهزة وذكاء اصطناعي وخدمات المحتوى وقواعد البيانات.

من الناحية البنيوية، وأيضاً لجانب ديناميات عمله الخاصة، فإن الرأسمال الرقمي يثير العديد من الأسئلة لجهة غياب صفة التنافسية المعهودة في النظام الرأسمالي التقليدي، ولئن كانت التنافسية على الدوام إحدى أهم المحددات الليبرالية للاقتصاد الرأسمالي، فإن هذه الصفة تكاد تكون معدومة، في ظل هيمنة عدد قليل من الشركات العملاقة على السوق الرقمية في العالم (جوجل، أبل، فيسبوك، أمازون، علي بابا)، وغياب هذا المبدأ الليبرالي عن الرأسمال الرقمي، قد يدفع من الناحية النظرية على الأقل إلى استحضار عصر الإقطاع، إذ يبدو أن النمط الذي تتبعه هذه الشركات العملاقة شبيهاً بالسيطرة الإقطاعية، وهو ما يحيلنا بطبيعة الحال إلى استحضار النقيض التاريخي للرأسمالية بوصفها توأم الحداثة، أي العودة إلى ما قبل العقلانية والتنوير والتعاقد الحر.

الصراعات الدائرة اليوم بين عمالقة التكنولوجيا الرقمية، في جزء كبير منها، تدور حول الوصول إلى قواعد بيانات المستهلكين، والتي تبدو أنها أصبحت مستباحة بشكل واسع وغير مسبوق، من دون أية مواجهة تذكر أو مساءلة فعالة من قبل الهيئات الدولية أو المحلية لحماية المستهلكين، حتى إن هذه الهيئات تبدو مع قلة فاعليتها وتضاؤل دورها وكأنها جزء من الماضي، وبالتالي فإن المستهلكين في جميع أنحاء العالم، والذين يفترض أنهم مواطنون في دولهم بالدرجة الأولى، أصبحوا تحت سلطة شركات عابرة للدول والحدود، كما أن الحكومات ذاتها لا تمتلك أدوات فعالة في مواجهة عمليات الاستحواذ الكبرى على قواعد بيانات مواطنيها.

إن نبوءة الكاتب الإنجليزي جورج أورويل في روايته «1984» تبدو اليوم أقرب إلى التحقّق، لكن مع فارق جوهري رئيسي، وهو أن المراقبة وتوجيه الرأي العام والتلاعب بالجماهير لم يعد شأناً حزبياً أو حكومياً، بل أصبح أمراً عالمياً، تقوم به شركات عملاقة، تنتمي شكلياً إلى العالم الليبرالي الحر، لكن صيغة عملها الفعلية تتناقض كلياً مع الطابع الليبرالي للحقوق، فإذا كانت الليبرالية قد تأسست على تأكيد الحقوق الأساسية للفرد، والتي تؤكد بطبيعتها خصوصية الفرد، فإن اختراق هذه الخصوصية ليس أمراً يمسّ المعلومات وحسب، بل يمتد إلى كامل منظومة الحقوق، والأخطر من ذلك هو تحويل الأفراد من مواطنين إلى مجرد قواعد بيانات وزبائن، يتم بيعهم من شركة إلى أخرى.

لم يعرف العالم عبر تاريخه هذا التركيز الهائل للسلطة والقوة في يد قلة قليلة من المنظمات والأفراد، وهي قوة مدعومة برأسمال يفوق في كثير من الأحيان الناتج القومي السنوي لدول صناعية كبرى، فشركة جوجل، على سبيل المثال لا الحصر، تصل قيمتها السوقية إلى أكثر من 1.07 تريليون دولار، بالإضافة إلى قدرتها الهائلة على التحكم في قواعد البيانات العالمية، أكثر من أي دولة في العالم، وهو ما يجعل منها سلطة فائقة بلا حدود جغرافية، أكبر من أي إمبريالية سابقة، ومن هذا المنطق، فإن الرأسمال الرقمي في اللحظة الراهنة هو أعلى شكل عرفته البشرية من أشكال الرأسمالية.

المنطقة الرمادية بين الحرب والسِلم (٢ – ٢)

لقد انتقلت روسيا وتُركيا من المواجهة إلى التعاون. ولكن مصالحهُما المُشتركة كانت لها عواقب وخيمة للأكراد في سوريا وتتار القِرم في أوكرانيا. ويستمر التوتر في ناغورنو – كاراباخ وفي ليبيا، ودعمهما للإستبداد اليميني في غرب البلقان يُقوّض القيم الديمقراطية الليبرالية.

ترجمة:
غريب عوض

إن العلاقة بين روسيا وتُركيا مليئة بالغموض. كلا الإمبراطوريتان السابقتان شريكتان ومتنافستان : في الشرق الأوسط، وفي جنوب القوقاز، وفي منطقة البلقان. ومع ذلك، على الرغم من الذكريات التاريخية والإنقسامات الراهِنة، تمكنت موسكو وأنقرة من تحديد المصالح المُتداخلة وإقامة روابط إيجابية مع احتواء الخلافات. وفي أقل من عام، أنتقل الرئيسان فلاديمير بوتين و رجب طيب أردوغان من التعاون الضعيف، من خلال مواجهة مُباشِرة بعد إسقاط طائرة حربية روسية بواسطة طائرة تركية من طراز F–16 في نوفمبر 2015، إلى شراكة نشِطة.

وفي أعقاب الإنقلاب الفاشل في تُركيا في 15 تموز/يوليو 2016، تجددت العلاقات بين البلدين. موسكو وأنقرة هُما من رُعاة مُحادثات "الأستانا" بشأن سورية، بينما يعمل جيشيهُما جنباً إلى جنب على الأرض. التعاون في الطاقة، يعود إلى تسعينيات القرن الماضي، على قدمٍ وساق مع اكتمال خط أنابيب الغاز الطبيعي TurkStream وتحقيق محطة Akkuyu للطاقة النووية تقدُماً. وتتدفق التجارة بحُرية ويتدفق السياح الروس على ساحل البحر الأبيض المتوسط في تُركيا كما فعلوا مُنذُ سنوات.

وفي الوقت نفسه، فإن صواريخ أرض جو الروسية S–400 التي تم تسليمها لأنقرة توتر العلاقات مع الولايات المتحدة. وبعيداً عن الغرب، رفضت الحكومة التركية العقوبات المفروضة على روسيا واختارت المُشاركة بدلاً من ذلك. لقد تحول بوتين وأردوغان إلى عمل مُزدوج في السياسة الدولية، حيثُ يلتقيان بشكل مُتكرر ويتخذان مبادرات دبلوماسية مُشتركة. يُقارن النُقاد الغربيون والمُعارضون الأتراك على حد سواء بين حُكم أردوغان الإستبدادي وقبضة بوتين المُحكمة على السُلطة في روسيا (مع تجاهل عدد من الاختلافات أيضاً).

ومع ذلك، جاءت الأزمات الأخيرة في ليبيا وإدلب في شمال غرب سوريا وناغورنو كاراباخ بمثابة تذكير بالقضايا التي تُفرق بين تُركيا وروسيا. وعلى الرغم من هذه الظروف المُضطربة، نجح أردوغان وبوتين حتى الآن في إدارة الخلافات وتعظيم المصالح المُشتركة بينهُما. وحسب تعبير الرئيس التُركي، "مثل الفولاذ الساخن الذي يُروى في الماء، فإن علاقتنا الثُنائية قد تم توطيدها وتقويتها مع كل استفزاز فاشل. وبالمثل أشار وزير الخارجية مولود جاويش أغلو إلى روسيا في عام 2018 على أنها "شريك استراتيجي".

كيف وصلنا إلى هُنا؟ ما الذي يُحرك العلاقات بين أنقرة وموسكو؟ ما هي الآثار المُترتبة على الغرب؟

الخلفية الدرامية

عادةً ما يُنظَ إلى العلاقات التركية – الروسية على أنها قصة شخصين أكبر من الحياة. هذا الرأي لهُ ما يُبررهُ بالنظر إلى القوة التي يتمتع بها بوتين وأردوغان بالإضافة إلى بصمتهما على قرارات تاريخية مثل المُصالحة في تمو / يوليو 2016. ومع ذلك، فإن هذا التركيز على القادة الحاليين يتجاهل السوابق التاريخية. تحالف الكماليون والبلاشِفة في أوائل عشرينيات القرن الماضي وحافظوا على الروابط خلال فترة ما بين الحربين العالميتين. عادت الحكومات التركية في الستينيات والسبعينيات إلى التعامل مع موسكو، حيثُ تلقت مُساعدات مالية وصناعية على نِطاق واسع. وأنتعشت العلاقات التجارية في أواخر فترة الحرب الباردة، بفضل عقد الغاز الطبيعي الذي وقعهُ رئيس الوزراء تورغوت أوزال في عام 1984، وحتى فترة التسعينيات.

بعد نهاية الحرب الباردة، قليل من الناس تنبا بأن تنبني صداقة بين روسيا وتُركيا. كانت أنقرة تُطالب بالقيادة في آسيا الوسطى وجنوب القوقاز وحتى على المجتمعات الناطِقة بالتُركية والمسلمين داخل الإتحاد الروسي نفسة. كان هذا يتعارض مع طموح موسكو للدفاع عن سلامة الدولة التي تتحداها الحركات الإنفصالية مثل تلك الموجودة في الشيشان وللإحتفاظ بالهيمنة على الإتحاد السوفيتي السابق.

وضعت تُركيا نفسها كحارس مُتقدم للغرب في آسيا الأوروبية Eurasia، مع مُبادرات مثل قمم رؤساء الدول التركية ومنظمة التعاون الاقتصادي للبحر الأسود (BSEC). ووجهت المؤسسة الأمنية التُركية شكوكاً إلى روسيا بسبب صِلاتها بدول مُعادية مثل اليونان وسوريا وأرمينيا وإيران. في عامي 1997 و 1998، أثار التسليم المُحتمل لِصواريخ S–300 الروسية الصنع إلى القبارِصة اليونانيين تهديدات من قِبل الجيش التُركي بأنهُ سيعترض السُفن الروسية التي تحمل الأسلِحة.

ولكن بحلول أواخر التسعينيات، نجحت روسيا وتُركيا في تحسين العلاقات بينهما. في كانون الأول/ديسمبر 1997، وقعت الحكومتان إتفاقية لبناء أنبوب للغاز الطبيعي تحت البحر الأسود، التيار الأزرق المستقبلي. وكانت شركات البناء التركية تُنفذ بالفعل مشاريع بملايين الدولارات في الإتحاد الروسي، في حين أن 'تجارة الحقائب' تستورد كميات كبيرة من المنسوجات والسلع الاستهلاكية الرخيصة من أسطنبول. وأعطى الزخم الإيجابي شكلاً لخطة العمل حول التعاون في آسيا الأوروبية التي تبناها وزيرا الخارجية للبلدين إسماعيل جيم و إيغور إيفانوف في تشرين الثاني/نوفمبر 2001. وفي العقد التالي، بنى بوتين وأردوغان على هذا الإرث. في عام 2004، أصبح بوتين أول رئيس روسي يقوم بزيارة رسمية إلى تُركيا. بعد ست سنوات، بدأ مجلس التعاون الإستراتيجي رفيع المُستوى، وهو هيئة مُشتركة تضمُ الحكومتين، اجتماعات مُنتظمة.

ما الأمر الذي يجمع روسيا وتُركيا مع بعض؟

للتقارب بين روسيا وتركيا أسباب مُتعددة: الترابط الإقتصادي، والثقافة السياسية المُتقاربة، والجغرافيا السياسية، والفضل يعود إلى الغاز الطبيعي، شَهَدَت روسيا (مُصدّرٌ رئيس للغاز الطبيعي) وتركيا (مُستهلك) نظامي الطاقة لديهُما أصبحا مُتشابكين على نحو متزايد. تقليدياً، تستورد تركيا حوالي نصف غازها من روسيا، وهي نسبة آخذة

بقلم:
Dimitar Bechev

في الإنخفاض في السنوات الأخيرة. بعد إلغاء التأشيرات بين البلدين عام 2011، سرعان ما أصبح الروس أحد أكبر مجموعات السياح إلى البلاد، لم يتفوق عليهم سوى الألمان. يمتلك عشرات الآلاف من المواطنين الروس عقارات على طول سواحل بحر إيجة والبحر الأبيض المُتوسط.

وتلعب السِمات السياسية المُشتركة دوراً مُهماً في التقريب بين روسيا وتُركيا. كِلا البلدين يشتركان في ثقافة سياسية تُعطي الأولوية لأمن الدولة وسيادتها على الحقوق الفردية. في التسعينيات بدأ الدولتين التعامل مع بعضهما البعض بشأن قضايا حساسة مثل القضية الكُردية والشيشان. وعلى سبيل المثال، في أوائل عام 1999، نقض الرئيس بوريس يلتسين ورئيس الوزراء يفغيني بريماكوف مجلس الدوما فيما يتعلق بطلب عبدالله أوجلان للحصول على اللجوء السياسي. سعى زعيم حزب العمال الكردستاني إلى اللجوء إلى موسكو على إثر طردِه من سوريا بعد أن هددت تركيا القيام بعمل عسكري.

بعد ذلك بعام، أعلن رئيس الوزراء بولنت أجاويد أن الحرب الثانية في الشيشان كانت تجارة داخلية لروسيا، بعد لقاء فلاديمير بوتين، الذي كان قد عُيّنَ بالفعل خليفة يلتسين. ولطالما اجتذب حُكم بوتين الرجل القوي، الدفاع عن المصالح الوطنية ضد التعديات الغربية وتحديث المجتمع من أعلى إلى أسفل، النُخب التُركية والمجتمع، مُتجاوزاً الإنقسام العَلماني/الديني. في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، شجعت الفصائل في الجيش والبيروقراطية التركية، التي عارضت الإتحاد الأوروبي، الإصلاحات الليبرالية واستاءت من السياسة الخارجية للولايات المتحدة، وتبنت الاختلاط الأوروبي الأسيوي ودعت إلى التحالف مع روسيا. في الأصل هُم على خِلاف مع أردوغان، في مُنتصف عام 2010، حولوا ولائهم له.

في موجهة روسيا الصاعِدة، فضلت أنقرة الإستعداد للحرب بدلاً من خوضها. وأثناء حرب 2008 في جورجيا، على سبيل المثال، أبقت حُلفاءها على مسافة بعيدة، حريصةً على عدم استعداء موسكو. وقَدَرَ صانعي السياسة في أنقرة أنهُ في حالة تطور الوضع، سَتُترك تركيا من قِبل الولايات المتحدة لتدافع عن نفسها. وبعد أن استثمرت أنقرة في القوة البحرية للبحر الأسود، كبديل إقليمي لحلف شمال الأطلسي، أطلقت أنقرة منصة الإستقرار والتعاون في القوقاز، والتي تهدف إلى طمأنة موسكو وإبقاء القوى الغربية على بُعد ذِراع.

وبالمثل، حتى لو أدانت ضم شِبه جزيرة القرم في عام 2014 وأبدت تعاطُفها مع محنة رِفاقها من التتار في شبة الجزيرة، فقد عارضت تُركيا العقوبات الغربية. ومُنذُ ذلك الحين، تسعى أنقرة إلى تحقيق توازن مُعقد بين الغرب وموسكو، مُعتبرة نفسها قُطباً ثالثاً وليس امتداداً لحلف الأطلسي. ومعَ الإنتشار العسكري الروسي في سوريا وجنوب القوقاز وخاصة شبه جزيرة القرم، تجد تركيا نفسها مُحاصرة وهَشة. وعلى الرغم من أن أنقرة تُساهم في 'الوجود المُتقدم المُصمم خصيصاً' لحلف الناتو في البحر الأسود وتدعم توسيع الإتفاقية لتشمل غرب البلقان وكذلك أوكرانيا وجورجيا، إلا أنها تفعل ذلك إلى حدٍّ كبير تحت المُراقبة.

العامل الأخير هو علاقات تركيا المُتوترة مع الولايات المتحدة والأتحاد الأوروبي، لاسيما بعد مُحاولة الإنقلاب عام 2016، إلى جانب التدخل الروسي في سوريا. تدهورت العلاقات مع الولايات المتحدة وأوروبا وأصبحت الآن مُعاملات إلى حدٍّ كبير. ونتيجة لذلك فإن جاذبية روسيا آخذة في الإزدياد. كان أردوغان هو البطل الرئيس في هذهِ القصة. ألقى باللوم علىَ القوى الأجنبية في احتجاجات جيزي Gezi protests (ثورة ملونين من نوعٌ ما فاشلة)، استاءت من فشل إدارة أوبَاما في فرض «خطوطها الحمراء» بعد أن استخدم النظام السوري الأسلِحة الكيماوية ضد المدنيين، وصورت حركة فتح الله غولن، المُرتبطة بمحاولة الإنقلاب في 15 تموز/يوليو 2016 على أنها عميلة للولايات المتحدة وإسرائيل.

فإنهيار عملية السلام الكُردية في صيف عام 2015 وتجدد القتال بين الحكومة وحزب العُمال الكُردستاني زاد في تدهور العلاقات مع الولايات المتحدة. في عام 2014 انضمت الولايات المتحدة إلى الأكراد السوريين، الذين كانوا يُقاتلون تنظيم الدولة الإسلامية. وترى تُركيا في ما يُسمى بقوات سورية الديمقراطية التي تشكلت وحدات حماية الشعب الكُردية جوهرها على أنها وكيل لحزب العمال الكُردستاني. وعلى الرغم من أن لروسيا صِلاتها الخاصة بالأكراد السوريين، وعلى عكس الغرب، لمَ تُدرج حزب العمال الكُردستاني أو فروعه كمنظمة إرهابيةَ، فقد أعطت الضوء الأخضر لتوغلات تُركيا في شمال سورية في عامي 2016 و 2018 (عمليتا «درع الفُرات» و«غصن الزيتون»).

أثبتت تركيا أنها محاور أساسي لروسيا في الشرق الأوسط. تنتقد أنقرة مُحاولة الكرملين الإستفادة من من المكاسب العسكرية في سورية لتأمين اتفاق لتقاسم السُلطة، وتعزيز حُكم الأسد، وضمان مصالح روسيا على المدى الطويل. تُركيا هي جسر لمختلف فصائل المُعارضة المُسلحة وبعض مؤيديها في جميع أنحاء المنطقة. كان المُثلث الروسي التركي الإيراني الذي يرعى مُحادثات الأستانا بشأن سورية أحد أبرز أنجازات موسكو.

ذات يوْمٍ على صفحة بريد القرّاء

في عام ١٩٨٨ وكنت وقتها احرر صفحة «بريد القراء» في صحيفة «أخبار الخليج»، تلقيتُ رسالة من قارئ اسمه يوسف من قلالي يقول فيها، «طالعتنا جريدة (جلف ديلي نيوز) في عددها الصادر يوم السادس من شهر مارس عام ١٩٨٨ في الصفحة الثالثة بأن إحدى السفارات الآسيوية العاملة في بلدنا تمتدح تجاوب مواطنيها المقيمين في البحرين في إحصائيات السفارة ، حيث بلغ عدد المسجلين حتى الان أكثر من ٧٥٠٠٠ وافد ، ولو أنّ هذا العدد يشكل نصف الموجودين في البحرين، «لكنه عدد مشرف لنا»، حسب ما جاء على لسان السفير، أي بمعنى آخر فإن عدد هذه الجالية في البحرين يبلغ حوالي ١٥٠٠٠٠، وتساءل الكاتب: إذا كان هؤلاء وحدهم يشكلون هذا العدد الكبير ،فما عدد بقيّة الأجانب من الفلبينيين والتايلنديين والباكستانيين والبنغاليين والإنجليز وغيرهم؟

عصمت الموسوي

ويضيف الكاتب «في الواقع إن عدد الأجانب في البحرين لا يقل عن نصف مليون نسمة، و بحساب بسيط نقول لو أن كل أجنبي يرسل إلى بلده شهرياً عشرة دنانير فقط، لأصبح المبلغ خمسة ملايين دينار شهرياً، أي ستين مليون دينار سنوياً ترسل إلى الخارج، فما رأي المسؤولين في الدولة في هذه الارقام الضخمة؟».

انتهت الرسالة التي قمت بنشرها، لأنها تحمل مواصفات الرسالة ذات المصداقية والمستندة إلى الأدلة، اذ أرفق الكاتب مقال الجريدة الأصلي (المقابلة مع السفير)، واخترت عنواناً صحفيًا للرسالة بعنوان «150 الف وافد (.....) في البحرين» .

في صباح يوم نشر الرسالة استدعاني رئيس التحرير الراحل الأستاذ احمد كمال لتوبيخي على نشر هذه الرسالة التي قال إنها ملفقة وتحوي معلومات غير دقيقة، ثم بعدها بيومين استدعاني وزير الاعلام الأسبق طارق المؤيد في مكتبه طالباً مني نص الرسالة الأصلية، ونص اللقاء مع السفير في صحيفة «جلف ديلي نيوز» ، ثم بعدها بعدة أيام طلب مني رئيس التحرير تسليم إدارة صفحة «بريد القراء» للزميل عبد المنعم ابراهيم، فيما بدا كعقابٍ لي على نشر رسالة تتحدث صراحة عن نسبة تواجد إحدى الجاليات الاجنبية ما اعتبره الوزير إساءة للوطن.

اليوم نستيقظ كل يوم على تصريح جديد ليس عن تعداد العمالة الأجنبية ومشاريعها واستثماراتها فحسب، ولكن على الحقوق المستحقة لها سياسياً واجتماعياً واقتصادياً، من كان يجرؤ وقتها على التصريح بالقول "إننا العدد الأكبر والكتلة ذات الثقل والوزن المؤثر في سوق العمل، بل إننا نفوق عدد السكان المحليين"؟ وهو ما جاء على لسان مسؤول كبير باتحاد الجاليات الاجنبية في البحرين قبل فترة .

وفي حين عوقبت أنا في عام 1988 على التطرق إلى نفس المعلومة، نجد صحافتنا ذات التوجه الرسمي تبحث عن هذه الأخبار وتحتفي بهذه التصريحات وتبرزها على صدر صفحاتها الأولى، وتتبناها وتشير إلى العمالة الأجنبية بكل تقدير وإجلال باعتبارها شريكة في التنمية دون أن تلقى « قرصة أذن"، أو مكالمة هاتفية عند الفجر .

أما النقاش المجتمعي الدائر على صفحات التواصل الاجتماعي وفي الصحافة الشعبية، وضمن الدراسات الإستراتيجية وبين مخططي السياسات حول العمالة الأجنبية في البحرين وغيرها من دول الخليج، فإنه يختلف تماما عما كان عليه الوضع في الثمانينات والتسعينات، فأغلب دول الخليج لم تول هذه الامور الاهتمام الكافي، ولم تحسب حسابها للمستقبل إلى أن استفاقت على تقارير منظمات حقوق الإنسان والمواثيق والعهود الدولية الملزمة منذ مطلع الألفية، والتي تطالبها بتلبية حقوق هذه العمالة المهنية والإنسانية، وإزالة كل العوائق التي تحول دون نيلها العدالة والمساواة والحقوق والحريات، بل وإدماجها بالكامل ضمن المظلة الاجتماعية أسوة بالمواطنين، بينما تتواصل بلا انقطاع الأصوات المنذرة والمحذرة من طغيان أعداد هذه الفئات وتعاظم الاعتماد عليها ومزاحمتها للمواطنين في شتى المجالات بل وتفضيلها على العمالة المحلية في بعض الوظائف، ما يشي بتحوّلها إلى رقم صعب وأشبه بقنبلة موقوتة في المعادلة الديموغرافية والتنموية في بلداننا راهناً ومستقبلاً .

حكايات وذكريات

قاسم الحلال

الرفيق جاسم

الرفيق جاسم، ابن الخالة، أقول ابن الخالة لموقف طريف جداً.

في العام 1970، كنتُ في الأردن، حيث الحرب الأهلية بين فصائل حركة التحرير الفلسطينية، في أيلول الشهر الذي استعرت فيه الحرب، وصار الأهل في غليان وخصوصاً كلما رأوا صور قوافل الشهداء، فالأخبار على الدوام في (عاجل)، وكان جاسم أحد مهدئي العائلة، وكان يستعد للذهاب إلى الاتحاد السوفياتي للدراسة، فأوهمهم أنه ذاهب للبحث عني كما كانت جدتي تروي لي بعد رجوعي.

«جاسم يقول هو ذهب ليبحث عنك، وإلى اللحين ما جاء، وأمه بعد يومياً اتصيح واتقول يمكن (جودوه)».

وبعد أن جاء الرفيق جاسم، قال لي مازحاً، أنا ذهبت ابحث عنك ولم أرك، أين ذهبت؟

«الكُدس»*

في صبيحة يـوم سكنت فيه المدافع والقذائف، تسلل أحد المقاتلين إلى حقل صغير وأدخل رأسه في أحد البراميل المركونة في زاوية الحقل حتى أرتوى بعد أن كان يلهث من العطش، وبعد أن سمعت أم صبري صوتاً خرجت لترى من الـذي في الحقل، ووقفت على عتبة الدار الترابية ووضعت كفها على جبينها لتحجب بريق الشمس عن عينيها، وقالت: «من اللي هناك»؟، وعندما تحققت أنه يشرب من المياه الوسخة، قالت: «تعا هون اشرب ميات انضيفة (نظيفة)»، وحينما سار في الحقل، «تعا هون...بس تدعسش على الفكوسات صار لي يومين ما جنيتهن، وحينما وصل ورأته بلباس عسكري ويحمل على كتفه بندقية كلاشنكوف، لطمت خذها وهي تقول (بارودة كمان، تعا جوه)، وأدخلته الغرفة المبنية من الطين وأرضها من التراب.

يوجد سريرها، الذي عملته وحدها، وموقد صغير، وسلّة بها فواكه: تفاح، برتقال، عنب، تين، وقرب الموقد صندوق به بصل وبطاطا وطماطم وكوسا وخيار، فقالت له وهي تمد له قلة الماء، «اشرب ميات انضيفه»، وأضافت: «عليّ الطلاق انك مفطرتش» (لم تفطر بعد).

ردّ عليها: صار لي أكثر من يومين ما أكلت يا خالة، وأكثر من عشرين يوماً ما نمت، من اشتباك إلى اشتياك... والسباط، (أي الحذاء)، ما شلحته من رجلي، لاحظت أن في كلامه لهجة عراقية، قالت له، وشو اللي جابك من العراق منشان اتبهدل حالك بها البهدلة»، فقال لها: أنا مش عراقي.

ردت عليه..وإلا من وين؟ قال لها أنا من البحرين.

لطمت خذها وهي نقول بإستغراب بحراني؟ عندكو الخير وجاي اتبهدل حالك، وجاي هان منشان اتجوع وتتبهدل.

رد عليها: جاي من أجل فلسطين

فقالت له «مكلكو بدافعوا منشان الكدسُ (القدس) لشو ها الحرب بيناتكو يبني؟

وأضافت...أنتو محبوبين «البحرانية». «ودي أحضّر مكان اتنام عليه، منشان اتريح...اشلح البارودة خلها هان واشلح السباط منشان تريح اجريك (رجليك) وغسلهن ابميات (مياه) سخنة».

قامت بعمل سرير، حيث صفت عدداً من صناديق البرتقال والتفاح، وقامت بتغطيتها بعدد من البطانيات العسكرية التي توزعها عليهم مؤسسات رعايا اللاجيئن باستمرار، وهي تتحدث معه عن وضعه: ما أكلتش من بقاله...عاد؟، ردّ عليها وهو يأكل البيض والبطاطا المسلوقة، ما في بقالة ولا دكانه ولا سوق ولا مخبز ولا حتى مسجد، كلهن قصفوهن.

وبعد أن فرغت من إعداد السرير، غطّ في نوم عميق، ولم يستيقظ إلا ظهر اليوم الثاني، كان منهكاً تماماً لأنه لم يجد مكاناً ينام فيه، نهض تعباً فرأى أنها قد أعدت له البيض والبطاطا المسلوقين، والزيت والزعتر والحمص، كان غذاءاً طيباً، شكرها، فقالت له وهي تسكب الحليب الساخن، اشرب، حليبات طريه، هالساع جبتهن من جارتنا أم منيرة.

لقد أنس عادل العيشة مع أم صبري، حيث صار يعمل معها في الحقل، وفي صبيحة يوم نهض مبكراً، وكان الطقس جميلاً لا يشوبه إلاّ صوت طلقات رشاش من بعيد، من هنا وهناك. جلس على كرسي قديم مركوناً قرب الـدار، وبدأ يتأمل في العصافير والغربان التي تحط فوق الزرع غير مبالية، وكأنها تدرك أن هذه مجرد فزاعات لإخافتها، فصار يضحك لهذا المنظر، يوم رابع قضاه عادل مع هذه (الختيارة) الطيبة وكلما سمع الاشتباكات تتجدد فكرته في كيفية الخلاص والعودة إلى الوطن.

لقد احترقت وثيقة سفره، بينما هو الآن عالق في حرب أهلية، إلى متى سيظل عالقاً في هذه الحرب، ومتى ستنتهي ؟

استيقظت أم صبري على صوت انفجار ضخم، وجاءته حاملة الزيت والزعتر والخبز الطري والحليب.

وبادرته....صباح الخير..جيف انت يما؟»، (كيف حالك). ردّ عليها: «صباح النور، غلبتي حالك يمّا»، ردت، مافي غلبة يمّا، أنت جيت من البحرين من غاد منشانا».

في يوم نهض في الصباح باكراً، فتسلل لملابسه العسكرية وسلاحه وارتـدى ملابسه وهـرب. هرب لصعوبة الفراق والوداع.

عباس وذاكرة السجن

عرفت فقيدنا عباس في السجن، عرفته عنواناً للتضحية، عنواناً للسخاء، كنا في القلعة، وكان هو في سجن جو، وكنا في بداية الحكم علينا، منعوا عنا الدفاتر والأقلام، وكلما طلبنا من إدارة السجن يردوا علينا لا نستطيع اعطاءكم دفاتر وأقلاماً إلا بأمر من المخابرات، لكن الرفيق عباس كلما سنحت له فرصة المجيء إلى سجن القلعة ، المنامة، يقوم بتهريب الدفاتر والأقلام لنا، كما يأتي محملاً بصندوقين يحويان المربى والجبن، وكثيراً من الأشياء التي كانت في بداية حكمنا ممنوعة.

كان الرفيق عباس طيباً حتى مع الشرطة حيث يقوم دوماً بملاطفتهم، وهو محبوب عندهم، الأمر الذي جعلهم لا يفتشونه أثناء المجيء من سجن جو، ويسمحون له بالمرور دون تفتيش، وأفادنا ذلك في توصيل كل احتياجاتنا، نحن الذين لم نعرفه إلا في السجن فقط لأننا سجنا لأجل الوطن، وعندما وصلنا إلى سجن جو حاول بقدر الإمكان ترتيب مكان لنا، حيث رتب في أي زنزانة نستقر، اتألم له، عندما أراه في كل يوم يأخذ الرسالة التي بعثتها له ابنته لينا ويقوم بقرءاتها مرات حتى يغفو وتبقى الرسالة على صدره، ليغوص في أحلامه. نم بسلام يا رفيقي، لأهلك وذويك ورفاقك الصبر والسلوان.

*«الكدس» تعني القدس بالعامية

مغالطة منطقية

أحمد السعيد

أُعجبت بالموقف الأخير للشيخ السعودي "منير الخبّاز" حين خرج على الملأ شاكراً فتاةً وشابًا قطيفيّين صححا له بعض المعلومات وسند بعض الروايات التي نقلها، وأردف ذلك بقوله: (نعم، أنا أخطأت، ولن أكرر هذا الخطأ). في المقابل وفي الفترة ذاتها من تصريح الخبّاز خرجت مجموعة من رجال الدين تطلب من عامة الناس عدم التدخل فيما لا يعنيهم، بحجة أنهم ليسوا من أهل الاختصاص، حتى ولو كانوا قراءً، وعلى دراية أو تعمق في بعض المواضيع الدينية والإسلاميات.

لماذا أُعجِب الكثير بموقف الخباز؟

إنّي أعتبره موقفاً شجاعاً وبطولياً، فنحن لم نعتد على ثقافة الاعتذار والاعتراف بالخطأ، الآباء لا يعتذرون من أطفالهم حين يُخطئون، ونادراً ما نجد مدير مدرسة يُخَطِّئ أستاذاً إذا ما أساء لأحد تلاميذه، كذلك مالك الشركة الذي غالباً يقف مع مدير القسم فيُهضَمُ حق الموظف، أما السلطتان الدينية والسياسية، فهما عندنا فوق النقد.

أمام كل هذا المحيط وهذا النمط من التربية المجتمعية، يصعب على الكبير أو صاحب العلم والجاه أن يعتذر لمن يراهُ دونه. أذكر في أحد الندوات لمثقف وأكاديمي بارز؛ قامت فتاة لم تتجاوز السادسة عشر من عمرها بالاعتراض على استنتاجاته، ورغم أن ملاحظاتها كانت قيِّمة، إلا أنه أجابها بطريقة متعالية قائلاً: (هذا كلام فارغ).

إن الإنسان يحتاج لمجاهدة حتى يمتلك القدرة على النقد الذاتي، أو على الأقل احترام وجود الآخرين كذوات مفكرة ولها تجارب.

من هم أهل الاختصاص؟

هناك مغالطة دائما ما يتم طرحها إذا ما تحدث أحدهم في مسألة دينية، حتى ولو كان مثقفاً، فيرد عليه تلقائياً: (أنت لست من أهل الاختصاص). لأن المتحدث وباختصار يتحدث من خارج الدائرة الإيمانية، ولم يدرس في المؤسسة الدينية المعترف بها.

تقوم هذه المغالطة على أنه دائما ما يقارَن الاختصاص في المسائل الدينية بالاختصاص في العلوم التجريبية، فيُقال مثلاً: أنت في حال حدوث عُطل كهربائي تلجَأ إلى الكهربائي، وفي حال حدوث عُطل في الجسد تلجأ إلى الطبيب، كذلك عليك ألّا تلجأ إلا لرَجل الدين إذا ما كان لديك إشكال في العقيدة.

المغالطة هنا هو أننا نقارن بين معرفة عقلية وعلم قائم على التجريب، أي خاضع للتجارب السريرية أو المختبرية، وبناء على النتائج يُحدَد ما هو صحيح وما هو خاطئ، ورغم كل ذلك يوجد لدينا مدارس متعددة للتطبيب وللمفاهيم الصحية.

كيف إذن يمكن إسقاط هذه العلوم وأمثلتها على المعارف العقلية المجردة، كالفلسفة، أو الدراسات الوجودية، أو تلك المعارف الدينية التي تخضع للاجتهاد الشخصي، والبراهين الذاتية، بالإضافة إلى التأويل، وفي أحيان كثيرة للذوق والاطمئنان، وتاريخ طويل كما نعرف من التوظيف السيا-ثقافي!

في روايته «اسم الوردة" كان الفيلسوف الراحل أمبيرتو إيكو يسلط الضوء على مسألة مشابهة، وهي مسألة احتكار القساوسة لفترات طويلة تفسيرهم للأناجيل، وإبعاد أي أحد خارج الكنيسة من الوصول للكتاب المقدس أو قراءته، وذلك عن طريق عدم تدريس اللاتينية بالإضافة إلى منع ترجمة الأناجيل إلى لغات أخرى، وهكذا يحتكرون هم تفسير الكتاب المقدس وفهمه كشكل من أشكال السلطة على العقل، وكانوا يبررون ذلك بقولهم: (إن ترجمة الكتاب المقدس للفقراء والعامة فيه امتهان لكلمة الرب).

استذكرت في موقف الشيخ الخباز مقولةً للحلاج حين صرّح بأنه يحب من يبين له عيوبه أكثر ممن يمتدح فضائله، لأن من يبين له عيوبه ينمي عنده القدرة على مراجعة النفس والنقد الذاتي، أما من يكثر المديح، فإنه لا يقدم لنا خدمة جلية، بل يخلق منا كائناً متضخما وطاووسياً، كما هو الحال مع كثير من أهل الثقافة والدين والجاه عندنا.

فهم الأديان وتاريخها مجال مختلف عن فهم الطبيعة وقوانينها، وإذا كانت الثانية صارمة وواضحة، فإن الأولى تحمل الكثير من الارتباك لخضوعها لتأملات الفرد، وبراهينه الذاتية، وتأويلاته، بالإضافة لتاريخ طويل من التوظيف السياسي والمذهبي، وفيها ليس هناك صحيح وخاطئ إلا فيما يتفق فيه التابع مع المتبوع.

شخصياً، حصلت على إجابات عديدة لأسئلتي من خارج دائرة رجال الدين، لقد كنتُ من محبي أطروحات السيد محمد حسين فضل الله ومعالجته للقضايا، لكن بعض الإجابات عنده لم تكن مقنعةً بتاتاً، وخلقت لدي الكثير من الأسئلة التي وجدت بعض إجاباتها لدى مفكرين ومحققين من أمثال هادي العلوي وحسين مُرُوَّة المحسوبان على التيار الماركسي – خصوصا في معالجتهما الغنية للتاريخ العربي الإسلامي – وكذلك عند نصر حامد أبو زيد الذي تم اضطهاده من قِبَل المؤسسة الدينية لعلمانيته، وعند متصوف مثل "ابن عربي" الذي يحمل من العمق ما كان قادراً على أن يجيب على سؤالي الذي حملته معي طويلاً: (كيف يمكن أن تصدر هذه الكثرة في الوجود بلغاته وأديانه وعقوله المختلفة من شيء واحد، كيف يمكننا التوفيق بين رؤيتنا لكل هذه الموجودات مع القول بوجود مُوجِد واحد لها؟). لقد نقلتني إجابات ابن عربي وفلسفته منَ الكفر بكل ما هو ضيّق إلى سعة المفهوم الإلهي وكيف يمكن لله أن يكون الواحد الذي يتضمن الكثرة.

إن الاختصاص في المسائل الدينية والمفاهيم المجردة يمكن أن يشترك فيه رجل الدين، والمثقف اللاديني، والقارئ في التراث، فهو فضاء مفتوح بصورة أكبر من العلم التجريبي، وادعاء الاختزال ليس إلا تضييق بدافع سلطوي، إنه مثل أن تختزل المحيط في كأس واحد، وتقول للناس عليكم ألا تشربوا إلا منه.

لكل بصير أن يرى بأن دوافع تقويض العقل وتكميم الفاه أقرب إلى الخوف على السلطة والجاه الثقافي أو الديني منه إلى البحث عن الحقيقة، من يبحث عن الحق هو من يدخل البحر ويغوص فيه ولا يرضى بما يُصبَّ له في الكأس فقط، ولا يبالي من الغرق وإلى أين يقوده هذا البحر، ولا ينكر أنه قد يُخطئ، ولا يخاف أن يقول: لا أعلم. فهو في حال البحث قد لا يصل لجواب شاف. إن بعض المسائل من طبيعتها أن تكون سراً، وفي سرها سعة لها. ورغم ما يقودنا إليه السؤال من حيرة، إلا أنه يفتحنا على إجابات عديدة لأسئلة أخرى ما كنا لنجد لها جواباً حال بقائنا على اليقين الجاهل، لذلك يقول ابن عربي: أشهدني الحق بالحيرة. أي بتعدد طرق الوصول إليه، ولو لم يلتفت لهذه الحيرة والتعدد لما شهد الحق.

أراد المفسر الكبير الفخر الرازي ان يبحث عن الحقيقة بصدق، وحين أخلص لذلك صرَّح في نهاية عمره قائلاً:

نهاية إقدام العقول عِقالُ وأكثرُ سَعي العالمينَ ضَلالُ

ولَم نستفدَ من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

هكذا هو العارف لا يخجل من أن يعترف بأن معرفته بالأشياء قد تكون هباءً أمام سر الكون الكبير، فالإنسان محدود، وإيمانه محدود على قدر قلبه، وعقله محدود. العالم يشرب قطرة من بحر المعرفة ويكتفي، اما العارف فإنهَ يحسو بحار الكون ولا يكتفي، والعالِم دون العارف كما يقول العرفاء.

حين نصل لهذه القناعة سنتقبل من الجميع أن يطرحوا ما لديهم من أسئلة وإشكاليات، وسنعلم أطفالنا الصغار هذه المهارة بدل أن نقول لهم: عيب، ونضع لهم الكثير من الخطوط الحمراء التي يحرم عليهم تجاوزها.

تبقى الصور

سوسن حسن

ما أن نفيق من النوم حتى تخطر على بالنا مشاهد عابرة لأحداث عشناها قد تكون عادية، لكن حين نستذكرها تبدو كالحلم الذي نرغب في العودة إليه. قد تكون هذه المشاهد أمكنة أو أحاديث جمعتنا مع أشخاص أعزاء، حين نستذكرها تأخذ رونقاً آخر غير صورتها الحقيقية. استذكر العازف لحن أغنية يحبها، فأعاد تلحينها بطريقة مغايرة، و استذكر الصديق صديقه الذي قاطعه، فغامر بوصله متأملاً الحصول على رد. يقول المتنبي: أُغالِبُ فيكَ الشَوقَ وَالشَوقُ أَغلَبُ.

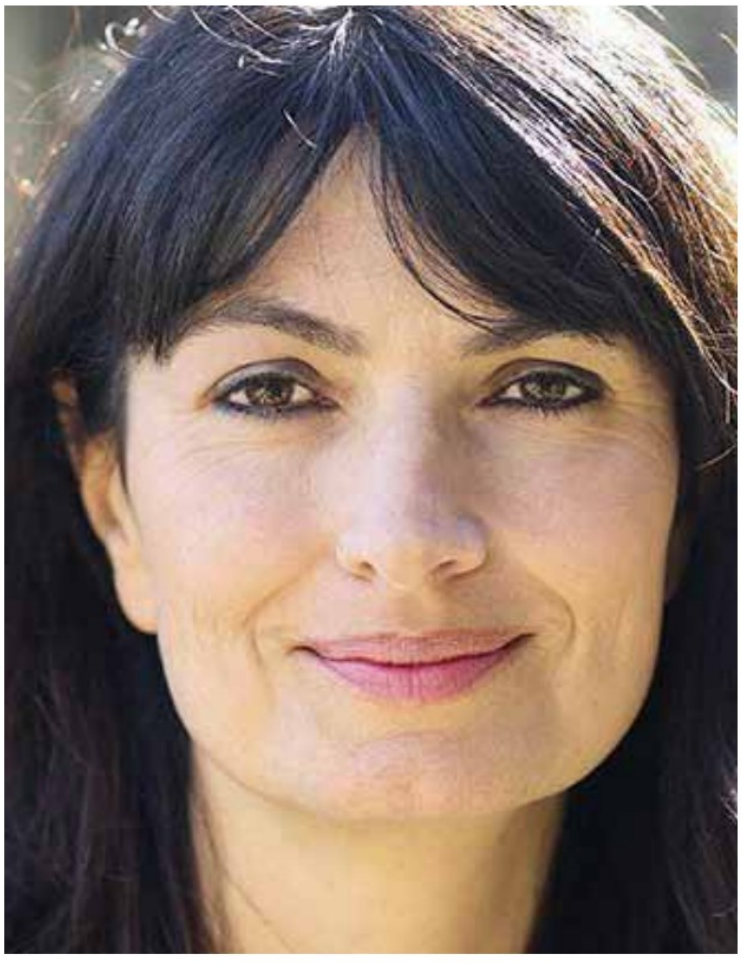

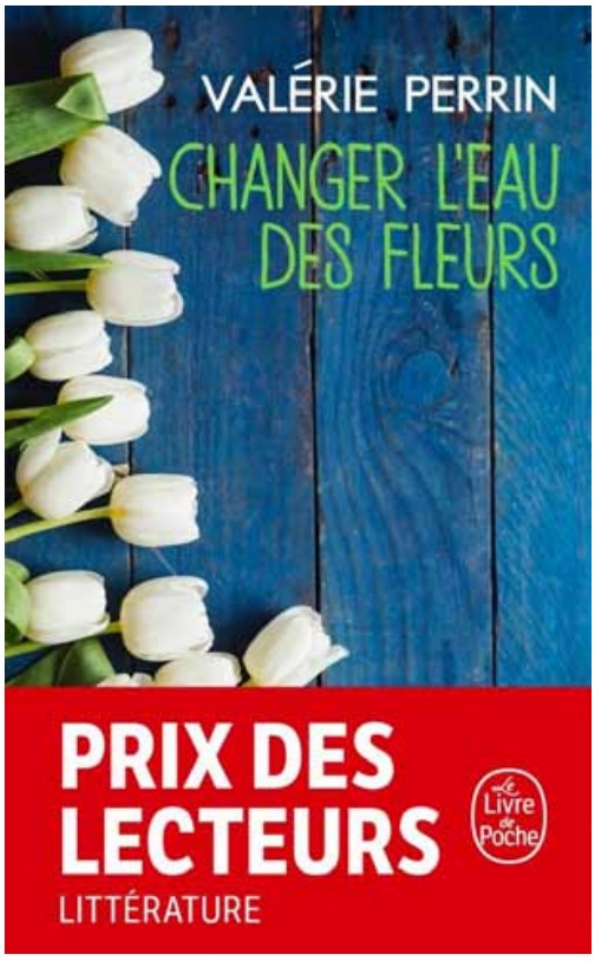

لا نستطيع الرجوع بالزمن إلى الوراء وعيش المشاهد ذاتها، لكن الذاكرة نعمة، فهي تستطيع إيقاظ أكثر المشاهد اختفاء و إحياءها مرة أخرى. هذا ما كانت تفعله فيوليت في المقبرة. كانت تستذكر من ذهبوا وتسمع الأحياء وهم يستذكرون أحباءهم.: كان صعباً عليها أن تجاري مستلزمات الحياة بعمل اعتيادي، فقبلت أن تصبح حارسة لأحد القبور في أحلى المناطق الريفية الفرنسية. كان زوجها لا يفعل شيئاً، فاقترحت عليه قبول هذا العمل ليكون لديهما بيت يأويهما، وعمل يدر عليهما بعض المال. لم يقبل الزوج هذا الاقتراح بسهولة، لكن فكرة المال السهل جذبته، فرضي في نهاية المطاف.

عندما وصل الزوجان إلى المقبرة عمّ الهدوء. "فصل الصيف يقلل عدد الأموات" . هذا ما تقوله الراوية فاليري بيران التي حققت نجاحاً باهراً بعد نشر الرواية التي أسمتها "تغيير ماء الورد". انتهزت فيوليت الفرصة لاستكشاف المكان، فراحت تتجول بين القبور وانتبهت أن معظمها متبع بصورة للشخص الذي رحل. تتميز الصور بجمالها، فكل صورة مأخوذة من أجمل ذكرى للمتوفين، وكأن الأحياء يريدون استذكار راحليهم بأبهى حلة ظهروا فيها. تقوم فيوليت بتسجيل الصور في مخيلتها و تقييمها، لتفوز صورة العروس بلقب أجمل صورة. كانت صغيرة في السن عندما توفت، ولم تكن تعرف أن أجمل صورة وذكرى لها ستكون يوم عرسها. يزورها الجميع ويستذكرون جمالها في ذلك اليوم، متمنين لو أنها بقت أكثر مع زوجها لينجبا أولاداً يضاهي جمالهم جمالها.

ذكّرني هذا الفصل بمن رحلوا عن أوطانهم لغرض العلاج أو السياحة أو سوى ذلك من غايات، دون أن يعرفوا بأنهم لن يرجعوا إليه، و بأن آخر ذكرى لهم فيه معلقة في المطار، مكان عابر مليء بالغرباء الذين يجمعهم ذات الفعل: السفر. يرجعون إلى الوطن على هيئة جثث، ويتمّ دفنهم دون أن يتمكنوا من وداعه.

لا أحد منا يعرف أي صورة ستكون آخر صورة له، و أيها ستكون الأجمل، لكننا نبادر بأخذ أكبر عدد ممكن من الصور لنخلد ذكرى المشاهد التي عشناها، ونعيد استذكارها مرة أخرى لوحدنا أو مع من نحب. ترجع صورة إلينا، و نقرر مراسلة جميع من جمعتنا الصور بهم لنحصل على ردود مثل: "اشتقت لك كثيراً، دعنا نلتقي مرة أخرى لنعيد هذه الذكريات أو نصنع أحلى منها". أحدثت وسائل التواصل الاجتماعي ثورة بقدرتها على اختزان كل صورنا وسهولة حفظنا اليها. سنذهب نحن ولكن ستبقى الصور.

«هلكوني 2» لموافق فواز الرويلي:

«ستتحطم رؤوس عديدة، ولكن ذات يوم ستنهار الجدران»

يطرح أحد مقالات كتاب «هلكوني» في جزئه الثاني أسئلة في غاية الأهمية: «ماذا لو دخل الطبَّ مثلًا شخصٌ غشاش لا علم لديه؟، كيف نأمنه على صحة أبنائنا وبناتنا وأهالينا؟ ماذا لو دخل الهندسةَ المدنيةَ غشاشٌ؟ كيف نأمنه على مشروعاتنا وجسورنا وبيوتنا؟ ماذا نعمل لمن أدخلته الشهادة المزورة نتيجة للغش إلى أحد مصارفنا؟ كيف نأمنه على أموال الناس؟».

سليمان المعمري

لعلّ هذه الأسئلة الهامة وتنويعاتها المختلفة هي التي حدتْ بمثقفين عضويين –إذا ما استعرنا مصطلح غرامشي Gramsci الشهير– على رأسهم الدكتور موافق الرويلي لخوض حرب شرسة ضد الفساد الثقافي في بلداننا الخليجية، الذي لا يقل خطورة بطبيعة الحال عن غيره من «الفسادات» السياسية والاقتصادية والاجتماعية لو كان قومي يعلمون. نظر الرويلي وأقرانه إلى الثقافة نظرة واقعية باعتبارها مرآة عاكسة للوضع السياسي والاجتماعي العام، مُنَحِّين –ولو مؤقتًا – تلك النظرة الرومانسية للثقافة، التي ترى أنها قادرة على إصلاح ما تفسده السياسة، والتي يبدو أنها نظرة ستبقى حبيسة كتب وأفكار المفكرين والفلاسفة، دون أن يُسمح لها بالتنفس في الهواء الطلق، فـ»الثقافة لم تمنع يوما أحدًا من أن يكون وغدًا» كما يخبرنا صادقًا الفيلسوف الفرنسي لوك فيري.Luc Ferry

سأعترف أولا أنني وصلتُ متأخرًا، وأنني لم أقترب من جهود موافق الرويلي الحثيثة في محاربة الشهادات المزورة والوهمية وغير المعترف بها إلا في السنوات الأخيرة التي صار فيها صديقي في تويتر، فكان حسابه ووسمه «هلكوني» أشبه بشاي الصباح الذي أرشفه قبل أن أنطلق إلى عملي. ومع ذلك، ورغم متابعتي لعشرات الوقائع التي فضح فيها زيف هذه الشهادات وتزويرها خلال هذه السنوات، والحروب التويترية التي شنّها ضده مزيّفون و»متدكترون» وبائعو كراتين وهم، إلا أنني اكتشفت بعد مطالعتي هذا الكتاب أن ذلك كله لم يكن إلا القمة الظاهرة من جبل الجليد الطافي، وأنه فاتني الكثير من جهود الرويلي التي سرَدَها في مقدمته، منذ قراءته لكتاب «مرض الشهادات»Diploma Disease لرونالد دور Ronald Dore في مطلع ثمانينيات القرن الماضي عندما كان طالبَ دراسات عُليا، ومرورًا بعمله في قطاع الموارد البشرية في أحد البنوك السعودية واصطدامه بشهادات من جامعات ذات أسماء غريبة يطلب أصحابها إضافتها إلى سيرهم الذاتية، ثم قيادته بعد ذلك حراكًا مجتمعيًا في مجلس الشورى السعودي لاستصدار قانون للحماية من هذه الشهادات الوهمية والحد من تغلغلها في مفاصل المجتمع، وليس انتهاء بحروبه شبه اليومية على تويتر لفضح هؤلاء المزورين وبائعي الوهم. كل هذا العمل الدؤوب المضني الذي هَدَف من خلاله إلى رفع مستوى الوعي بخطورة هذه الشهادات على الوطن والمجتمع والفرد، كان غائبًا معظمه عني، ليأتي هذا الكتاب فيخبرني به ولسان حاله قول الشاعر: «علمتَ شيئا، وغابت عنك أشياء».

على أنه خير للمرء أن يصل متأخرًا، من أنْ لا يصل أبدا. وأستطيع اليوم الزعم أن الوعي بخطورة هذه الآفة المجتمعية قد نما وتطور ولم يعد هو نفسه قبل عشر سنوات مثلًا. هذا الوعي ومحاولات توسيعه هو ما حدا بالرويلي لجمع المقالات العديدة التي تناولت هذه الظاهرة المَرَضية المستشرية في ثقافتنا العربية في كتاب واحد، نحن الآن بصدد جزئه الثاني. إن ميزة هذه المقالات، عدا توثيقها لهذه الجرائم الثقافية، أنها تقدم صورة أشمل عن هذه الظاهرة في مناطق مختلفة من خليجنا العربي الواحد. إن مقالًا واحدًا من عينة «لصوص بدرجة دكتوراه» كافٍ لفتح أعيننا على خطورة هذه الظاهرة، فما بالنا ببقية المقالات الأخرى. في هذا المقال المنشور في جريدة الأيام البحرينية (عدد الثلاثاء 31 يوليو 2018) يخبرنا خليل يوسف أن القضية ليست وليدة اليوم، وأنها ليست ظاهرة عربية فقط. إذْ يذكّرنا بأن صحيفة سبوكسمان ريفيو Spokesman–Review نشرت في أغسطس 2009 قائمة بأسماء ما يقارب عشرة آلاف شخص وضعتهم وزارة العدل الأمريكية في قائمتها السوداء نظرًا لشرائهم شهادات دراسية مزورة من متجر للشهادات في العاصمة واشنطن، وسنعرف من تتبع هذه القائمة أن 180 شخصًا من هؤلاء كانوا من الخليج، وكان هذا «الدكان» يبيع الشهادات المزورة بمبالغ تتراوح بين مئات وألوف من الدولارات بحسب نوع الشهادة، حيث أن تكلفة الحصول على شهادة الدكتوراه مثلًا بلغت 8000 دولار أمريكي.

وقد لفَتَ نظر الكاتب البحريني في تلك الفضيحة أن معظم الشهادات المزورة كانت في مجالات حساسة ومهمة تتعلق بالطب والقانون والاقتصاد والتنمية والهندسة، وهو ما يعيدني إلى الأسئلة التي طُرحتْ في بداية هذه المقدمة. ثم يقفز إلى فضيحة أخرى حدثت عام 2015 بعد أن نشرت صحيفة نيويورك تايمز The New York Times الأمريكية في مايو من ذلك العام تقريرًا عن شهادات وهمية لـ3142 شخصًا من دول الخليج، تصدرتها الإمارات بـ 1217 شهادة، ثم السعودية بـ 1198 شهادة، ثم قطر بـ 289، والكويت بـ 287، وعُمان بـ 81 شهادة، والبحرين بـ 70 شهادة. وما يلبث أن ينتقل إلى حادثة أخرى هي كارثة بكل المقاييس أُعلن عنها في الكويت عام 2016، حيث نُشرتْ اعترافاتُ مَنْ لُقّب بـ»امبراطور الشهادات المزورة»، الذي اعترف أنه استخرج لوحده نحو 600 شهادة ثانوية عامة، وأن بعضًا ممن حصلوا عليها بالتزوير استطاعوا إكمال الدراسة الجامعية في الخارج، وحصلوا على شهادات عليا، وهو الأمر الذي اعتبره البعض شهادات باطلة لأن أساسها باطل! ثم يذكّرنا بقصة أخرى أثيرت في السعودية قبل سنوات وأثارت جدلًا

كبيرًا بعد الكشف عن «جامعات افتراضية» تعتمد «نظام التعليم عن بعد» حصل منها كثيرون على شهادات وهمية، وأُعلن حينها عن اكتشاف 2700 شهادة مزورة، كما أُعلِن في عام 2013 عن ضبط معمل في منطقة القصيم لصناعة الشهادات الوهمية عثر فيه على أكثر من 16 ألف شهادة مزورة لجامعات ومعاهد محلية وأجنبية بعضها كان معدًا للتوزيع، وفي عام 2014 كُشف عن وجود أكثر من 7000 من حاملي الشهادات العليا المزورة بينهم أكاديميون وأطباء ومهندسون ومثقفون ومسؤولون ورجال أعمال.

تخيلوا أن كل هذه الكوارث نطالعها في مقال واحد فقط، فكيف بنا إذا قرأنا عن الـ 1250 شهادة مزورة في عُمان، حسب مقال حميد السعيدي (مقال «مجرمون بشهادات مزورة»، صحيفة الرؤية العمانية، عدد 28 يناير 2018) ، أو الـ 5768 شهادة في الكويت التي حصل عليها أصحابها دون إجازة دراسية كما يروي الكاتب مرزوق الحربي في الأنباء الكويتية (عدد 27 يوليو 2018)، أو عن «دكاكين الشهادات» من بعض الدول العربية التي أغرقت دول الخليج وتسببت حسب مقال حمد العصيدان في الرأي الكويتية (عدد 22 فبراير 2018) في إغلاق جامعة دلمون البحرينية، أو عن عشرات الوقائع غيرها التي يزخر بها كتاب «هلكوني».

وبعد، فأظن أننا في الخليج، وفي ظل هذا اللاكتراث بأهمية العلم لشديد الأسف والحزن، واللاوعي بخطورة التزوير والغش في التعليم، سنحتاج إلى سنوات ضوئية حتى نخرج من هذا النفق. لأننا – وا أسفاه – غير آبهين بحكمة هامة وردت أيضًا في أحد مقالات هذا الكتاب: «من يعتقد أن التعليم مكلف فعليه أن يجرب الجهل فسيجده مكلفا أكثر». وحتى يأتي اليوم الذي نستعيد فيه وعينا فنحن في أمس الحاجة إلى جهود الرويلي ورفاقه ممن يبذلون وقتهم وجهدهم وأعصابهم لتنقية الجو من هذا الغبار القاتم، أولئك الذين آمنوا أن توالي ضربات الفأس على الصخرة الصلدة لا بد أن يؤدي في النهاية إلى فلقها، لذا فإننا نقول لهم: أنتم الآن شجرتنا الصامدة التي لا يحق لها أن تنحني للعواصف، لأن ثمة من يتكئ عليها. سيلومكم الجميع. سيئو النية سيتهمونكم بالتشهير وبأنكم تتدخلون في أمور لا تعنيكم وهم لا يعلمون أن أمثالكم لم يُؤتَوْا موهبة الصمت أمام الكذب والتزييف، أما حسنو النية فسيقولون إنكم تنفخون في قربة مثقوبة، وإن جهودكم ستذهب سُدى، وسيذكرونكم بالبيت الشعري الشهير: «كناطح صخرة يومًا ليوهنها / فلم يُضِرْها وأوهى قرنه الوعل». وهؤلاء سنقول لهم إن قرن الوعل أقوى من أن ينكسر، وسنذكّرهم بما قاله كزانتزاكيس Kazantzakis ذات يوم: «سنضرب الجدران برؤوسنا، ثم نعود لضربها. ستتحطم رؤوس عديدة، ولكن ذات يوم ستنهار الجدران».

تقديم كتبه الكاتب للجزء الثاني من كتاب «هلكوني» للكاتب السعودي موافق الرويلي، قيد النشر.

هلـــوســـات

بتول حميد

في الثانوية كنت مفتونة برواية «لا أنـام» لإحسان عبدالقدوس؛ ربما لأني لا أنام بيولوجياً، أقضي ساعات نومي في عالم هلامي يتأرجح بين الصحو والنوم، وكنتيجة منطقية لغفوتي بعد فيلم سريع الأنفاس أو صفحة من كتاب أو حوار تافه أو مركب.. يرسم تشكيلي الجواني لوحات مبعثرة من هنا وهناك لمواد مسموعة ومرئية في تختي، يتماهى العالمان حد فقداني للتمييز بينهما، الخيط الأسود يعانق الأبيض تحت جفنيّ.

مرةً نمتُ بعد مسلسل "قيد مجهول" فرأيت في منامي

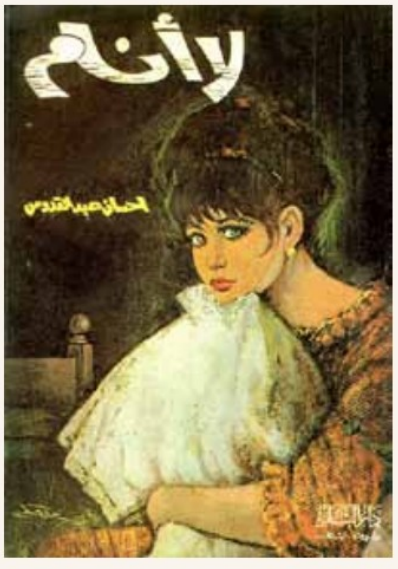

الممثل باسل خياط مصوّباً كلاشينكوف صغير أمامي ويستميلني للتندر والضحك على عبد المنعم عمايري ويقول بنبرة ساخرة "تفو عليكِ يا دنيا".. مرّة أخرى غفوت على الأريكة بعد فيلم وثائقي مصري ورأيـــت فيفي عبده تتمشى في خان الخليلي وتوشوش صلاح جاهين "اوعى تلف بجرحك تشحت"! ومرّة جلست مع جوزيه ساراماغو في مقهى وأخبرني بأن كوفيد 19 هو بطل مزيّف لرواية جديدة تدحض خيالاته في انقطاعات الموت، اعتقدت أنه حلم صاف لا يشوبه وهم، وحين رجعت لآخر ما غفوت قبله كان تقريرٌ الصحة لحالات الجديدة المصابة بالفيروس.

يكون الأمر مضحكاً حين يتسرب الواقع إلى المنام أو نقيض ذلك، حين يمدّ المنام لسانه على الواقع، يحدث هذا صباحاً حين تدندن صوت فيروز "متاري الكلام بيضلو كلام وكلشي بيخلص حتى الأحلام" أتخيّل رائحة كوب الكرتادو للتأكيد على يقظتي وعبثاً أستدير حتى أتبيّن أني قلبت الوسادة وعدت للحلم بعد هلوسات سمعية.

نعيمة في مهب أنوثة متناثرة

زهراء المنصور

إبراهيم بحر

حسين عبدعلي

كان العرب في جاهليتهم يهيلون الـتراب على البنات أحياء، حتى يثقل عليهن فيمُتن، وسميت هذه العملية بـ"الوأد"، الذي أراح ذكور القبيلة من العار المرتقب الذي ستجلبه عليهم إناثهم فيما بعد، وفي أي وقت، طالما هن على قيد الحياة! ويروى أن أصل هذا الموضوع عن قيس بن عاصم المنقري، وهو أحد سادات قريش، الذي سبيت زوجته، واختارت ألا تعود لزوجها وتظل مع سابيها. فأقسم المنقري أن يقتل أي بنت ستولد له لهذا السبب، ثم تحوّل الأمر إلى عادة ظلت لفترة، حتى جاء الدين ليمنع وينهى عن هذا الفعل الشنيع.

هل انتهت حكاية وأد الإناث بعد الإسلام؟ وهل لم تكن موجود قبل المنقري أصلاً؟ لا شك أن في الأمر بحثاً طويلاً يعيدنا إلى البدايات؛ لخروج آدم من الجنة بإيعاز من حواء، ومساعدة من "الحية"، وحديث التفاحة: رمز الإغواء الذي نعرف، ثم الكثير من الأخطاء البشرية التي تقف الأنثى وراءهـا، دون الحاجة إلى سند قوي للإثبات، إذ يكفي ذكر النوع لفتح المجال التطوعي للإفتاء، والتأكيد على ما من شأنه الإعلاء من شأن الذكر، ونقص هذا المعدل عند الأنثى.

ورغم كل التشريعات والقوانين الحضرية التي تدفع إلى تساوي الحقوق والواجبات، يبقى العرف المجتمعي والعادات البائدة المسيطرين على الوضع في معظم المجتمعات، حسب قابلية السيطرة على ذلك، ولم يُعرف تفسير منطقي للتفرقة بـــين الجنسين، يعرض ميزات الذكر وعيوب الأنثى، الـلـذيـن خلقا لاستمرارية نوعهما على الأرض، إلا للأسباب البيولوجية المؤدية إلى المتغيرات الأخرى؛ الفكرية، والنفسية، والاجتماعية، وحسابات العقل، والعاطفة، والموازنة بينهما.

ولا بد أنها مادة ثرّية للكتابة والفنون، كما قدمها عرض "امرأة في الظلام" المونودرامي، عبر "نعيمة"، التي قد تصادف شخصيتها كثيراً في مجتمعاتنا الشرقية، الأنثى الناجحة، والجادة في عملها، المعتدة بنفسها كثيراً، والتي تردد وتؤكد على معنى القوة المرتكز على منصبها الوظيفي عالي المستوى. لكن كل هذا الكيان يضعف من اهتمام وكلام رقيق من أحدهم؛ تخنع له، تحبه، ثم تتزوجه، مع تصريحها بأنه كان يصغرها في العمر. لم يحدد النص عدد السنوات الفارقة بينهما، للإقرار بأنها مهما كانت قليلة، فإنها غير مغتفرة للزوجة التي ترضى بهذه الزيجة، التي غالباً ما توصم بالشك في مصلحة أو ميزة سيتسلمها الـزوج نتيجة "تضحيته" بـالـزواج من امـرأة تكبره في العمر، حتى لو كانت بينهما أعظم قصة حب، فلن تصدَّق، لأن المجتمع سيبدأ في العد التنازلي حتى تفرغ مصلحتهما، فتنتهي العلاقة التي ستفسر نهايتها ببساطة: إنها تكبره في العمر!

والعرض يبدأ من بعد هذا الحدث؛ نعيمة المضطربة في وحدتها، وانتظارها لرجلها الذي خان أولاً، ثم تزوج لاحقاً، دون أن يفكر في مشاعر شريكته. وهنا توجد قراءتان: النص لإبراهيم بحر، حين جعل عدم الإنجاب غامضاً بين الطرفين، مع رضا الزوج، وطمأنته لنعيمة بأنه لا يهتم بالموضوع، وبين الرؤية الإخراجية لحسين عبدعلي، الذي جعل بطلته تلد طفلاً ميتاً، ثم تبعته بإجهاض متكرر، رغم المحاولات، مع موقف الزوج ذاتـه، وهذا التفسير يحسب لصالح العمل، الذي برر الفعل للشخصية، ولم يدع المسألة معلقة. ونفذ المخرج رؤيته البصرية على امتداد مربح للنظر، عبر حبل غسيل بعرض الخشبة، في فهم واع لاستخدام الفضاء المسرحي؛ بضع ملابس معلقة، وطشت للغسيل، تقضّي الممثلة سودابة خليفة جل وقت العرض بين الحبل وبينه، في رواية تفاصيل حياتها المحدودة بين بيت والدها وبيت زوجها، وعند الاثنين ذاقت الأمرّين، ولم تستطع تحويل مذاق حياتها إلى غير إحساس المرارة المستمر. ورمى المخرج علاماته في استخدام العباءة الخليجية للسيدات، وأيضاً في تداخل محدود لبعض الجمل باللهجة المحلية، الأمر الذي حدد منطقة العرض، رغم عمومية القضية.

يطرح العرض أيضاً أكثر من مفهوم مجتمعي خاص بالإناث، مثل الاضطرار للطلاق عند تعذر العيش المشترك، وفكرة المطلقة "الخاطئة"، والمتهمة على طول الخط بأن سمعتها ساءت بناء على وضعها الجديد، وفكرة القدرة على تقبل الخيانة المتكررة، وتحملها له، في مقابل عدم تقبل

سودابة خليفة

سودابة خليفة

الزواج الثاني، برغم أن المفهوم المجرد يعني أن يهب الرجل نفسه وجسده وعاطفته لامرأتين أو أكثر، وهذا ما يعني ازدواجية الفهم، بعيداً عن منطق القبول والتصديق بالشكل الشرعي في هذه الحالة.

ويرتكز العرض علي الدخول في سيكولوجية الأنثى، من حيث الاستجابة عاطفياً للين الكلام، حتى وإن كان الخيار غير مناسب، أو الاضطرار للقبول به تحت ضغط الخوف والقلق من الوحدة "سأبقى وحيدة.. لا زوج، لا أبناء، لا أهل.." كما تقول البطلة حين هجرها زوجها لأخرى، وهو نفس الخطأ المتكرر، الذي مهما سمعت الأنثى وشاهدت أو عايشت تجارب قريبة، تظل في ظن أنها "الاستثناء"، مهما كانت تبدو ناضجة سناً أو خبرة. فطبيعتها العاطفية، التي جبلت عليها، تدعوها للاستجابة متى ما شعرت بذلك، إلا في حال إعمال العقل، وهو لا يبدو في حالة توازن إن قاربته الحاجة العاطفية لوجود رجل في حياتها. لذا يبدأ الخطأ من الاختيار؛ الخطأ أولاً.

كما أن تشريح شخصية نعيمة أيضاً يبرر لها هذا الجوع العاطفي الذي لم تذقه في بيت بخيل المشاعر، لأب نوخذة، يقسو على بحارته، كما على ابنته الوحيدة، بلا سبب واضح إلا كونها أنثى، لن تكون امتداداً لاسمه، تتغلف بالاهتمام في الوظيفة، والتركيز في الترقي فيها حتى تميل إلى من لامس مشاعرها بكلام لم تعتده، غير متكافئ في السن، أو المركز الاجتماعي، أو غير ذلك! لا يهم، طالما أنه الشخص المنتظر. ثم تأتي النهاية الدراماتيكية المتوقعة، وأيضاً ردة فعل نعيمة، المضطربة وغير المتوازنة بكيفية التصرف. فمن الناحية النفسية، لا وجود لداعمين مقربين يعززون من ثقتها بنفسها في محنتها، ولا للوظيفة التي كانت تتشدق بأهميتها، ومنها استمدت تماسكها، حتى وإن كانت لفترة محدودة، إضافة إلى حاجتها العاطفية لزوجها، الذي أعاد إليها توازنها وثقتها بنفسها كأنثى. فكيف يفلت كل شيء من يدها بسهولة هكذا؟ الوظيفة، والـزوج، وعقبة الإنجـاب، وتحمل كلام الناس، والظنون، وتحمل نفسها.. كيف تتحمل الحياة بلا كيان مكمل؟

عبر عرض "امرأة في الظلام" عن كون الممثلة هي الموضوع الرئيسي، وأن أي اكسسوار يستخدم هو جزء مكمل للشخصية، هكذا بلا زيادة ولا نقصان، الهم الذي تحمله ولا تستطيع التنفيس عنه، تخرجه عبر معاملة قطع غسيلها بعنف وقوة في الفرك والعصر والنشر، والادعاء أنها قوية، مستقلة، ولا تبالي بالوحدة، رغم أنها لا تكف عن غسيل الملابس طول الوقت، وربما يكون في هذا الشكل تضادّ مع طبيعة الشخصية المستقلة –رغم ألا تعارض في الواقع بين الفعلين– لكنه تعبير حي عن الأفعال التي تروى وتنفذ عبر هذه التقنية، حتى قطرات الماء المنسلة من الملابس المبلولة لم يفت على الإخراج استغلالها عبر تصوير مشهد الولادة المؤثر بآهات الأم، ومعاناتها، في توظيف جيد للموقف، عدا إجادة الممثلة استخدام نبرة الصوت المناسبة للتعبير عن القوة، والضعف، والاضطراب، والخوف من الوحدة، ومن الآخرين الشامتين. ولا يفوت المتفرج إدراك صفة المكابرة في نعيمة، التي ترتفع حين تتذكر ذاتها، وتهبط بحدة حين تستوعب أنها باتت وحيدة، وربما خطر في ذهنها الفرق بينها كأم مكلومة، لم تهنأ بالأمومة سوى لحظات، عن تلك التي لم ينتفخ بطنها يوماً، كما في النص الأصلي، وبين الحالتين وجع كبير، تقلق منه تلك التي تتوق للأمومة، وتراقب ساعتها البيولوجية، خشية أن يأتي الوقت الذي سيستحيل أن يتحقق هذا الحلم.

ولأنه ليست كل الموسيقى الحية على المسرح فاعلة ومؤثرة، لابد من الإشارة والإشادة إلى إتاحة الفرصة للمتلقي في هذا العرض للاستمتاع بحوار آلتي البيانو والتشيلو، مع سرد البطلة التي لا تبرح قصصها نفس المكان، بتفاصيل متشعبة، استطاع التأليف المخصوص إظهار تناغم شديد الانسجام مع حالتها النفسية التي قد لا تعبر عنها لفظياً، في التعامل مع بقية الإكسسوار التي من ضمنها المعطف الرجالي المنشور فوق حبل الغسيل، وهي تخاطبه، أو تتشابك معه، أو أن يقوم المعطف بتعنيفها لأنها تفتش فيه فتجد الرسائل الغرامية من أنثى ما، فتتخبط الأسئلة داخل نفسها. هذا هو من أحببت؟ هل تغير؟ أم أن الوقت كشف شخصيته الحقيقية؟ ولا لوم على نعيمة، فالأنثى لا تعيَّر بضعف مخلوق بشكل أصيل في طينتها الأساسية، هذا الضعف الذي يستسلم أو يصدق هو جزء هام من راحة البشرية، ذلك لأنها عاكسة للطيبة، الاطمئنان، والسلام. والبطلة، بقدر ما كانت ضحية لقسوة أب، وجحود زوج، هي مسئولة أيضاً عما صارت إليه، حيث لم تحارب أو تقاوم حتى تعيد سكينتها لنفسها، بل إنها تبرر لنفسها أنها قوية، وتستطيع الصفح، بالقدر الذي يجعلها تتصل بزوجها وتخبره أنها تسامحه وتغفر له ما تقدم من ذنب، فقط لتعيده إلى دائرتها، فيرفض هو بطبيعة الحال، لأنها امرأة «متوفرة»، يعرف أنه يستطيع الرجوع إليها في أي وقت شاء، وسترحب به. هذه «نعيمة» الخاصة بكثيرات في مجتمعاتنا، ولازالت هناك المزيد منها في أماكن وبقع أخرى؛ يئدهن المجتمع، ويوارين الثّرى على أنفسهن وهن لازلن على قيد الحياة. لعل «امرأة في الظلام» توقد شمعة لأخريات.

لمشاهدة العمل كاملاً:

https://www.youtube.com/283s=watch?v=lMMN6RVU3oA&t

طاقم العمل: تأليف: إبراهيم بحر/ إعداد وإخراج: حسين عبدعلي/ سودابة خليفة/ سينوغرافيا: حسين عبدعلي، محمود الصفار/ تأليف موسيقي وبيانو: المرباطي/ تشيلو: حامد سيف

اللباس في السّرديات

كنتُ أعرف أن الملابس تحمل سرًا أخطر من كونها مجرد ملابس، عرفت ذلك قبل أن أقرأ مقولة فرجينيا وولف الرّائعة: «الملابس لها وظيفة أكثر أهمية من مجرّد إبقائنا دافئين. لقد غيرت منظورنا للعالم ونظرتنا إليه» وردت عبارتها هذه في كتابها «أورلاندو»، أمّا استنتاجاتي حول خطورتها فقد بدأت باكرا، منذ طفولتي، حين تعلّمت أن الحفاظ على هندامي النظيف والمرتّب يعطي صورة جيدة عنّي.

د.بروين حبيب

فرجيينيا وولف

مارغريت دوراس

أودري هيبورن

في الغالب اللباس هو بطاقة هويتك التي يراها الناس ويقيّمونك من خلالها، حتى قبل أن يعرفوا من تكون. وهذا لا يعني أنك بلباس جميل وأنيق قد تجذب من يحترمك، فقد تكون الفخ الذي يجذب النصابين واللصوص إليك. ولكنّها عموما قد ترفعك إلى فوق، وقد تهوي بك إلى تحت.

أمّا صاحبة هذه المقولة ورغم إدراكها لأهمية الملابس فقد اختارت أخطر الملابس على الإطلاق لإغراق نفسها، ارتدت معطفا ذا جيوب كبيرة، ملأتها بالحجارة ومشت نحو حتفها. تاركة نظرية غريبة لم تتفوّه بها، ولم تكتبها قط، وهي أن الموتى قد يحتاجون لملابس مع جيوب، كاستثناء إن كانت رحلتهم الأخيرة نحو أعماق بحيرة أو بحر.

من أين جاءتها تلك الفكرة الفريدة للذهاب إلى الموت بمعطف؟ هل كانت تعتقد أن الموت غرقا أكثر لطفا من موت بالمشنقة ؟ أم أنّ الأمر ابتكار كباقي الأفكار التي كتبتها؟

وحدهم الأحياء يستعملون جيوب أثوابهم، فقد سهّلت عليهم الكثير من أمور الحياة، كونها تشبه حقائب صغيرة يحملون فيها حاجياتهم دون الشعور بثقلها. لكن أن تكون أداة للموت، فهذا ما يمكن اعتباره فكرة قمة في الذكاء.

أمّا ما يفوقها دهاء فهي محاولة الإغتيال الفاشلة التي تعرّض لها سليمان القانوني في شبابه من طرف والده سليم الأول. نتذكر جميعا العباءة المسمومة التي أرسلها السلطان لإبنه سليمان بهدف قتله، لولا فطنة والدته وإنقاذها له. وإن لم نقرأ عن هذه الحادثة التاريخية الصادمة، فقد مرّت علينا كمشهد سوريالي صعب التصديق في إحدى الحلقات التلفزيونية من مسلسل "حريم السلطان".

وعلى كل لم تخلُ الدراما خاصة البوليسية من توظيف بعض قطع اللباس كأدوات للقتل، مثل استعمال ربطة العنق أو الحزام لخنق الضحية، مع أنها قطع قد تكون ثمينة جدا، يبالغ الأثرياء في انتقائها لإتمام أناقتهم. لكن مع حذر في اختيار لونها، إذ لا يجوز ارتداء ربطة عنق بألوان "فرِحة" في مأتم على سبيل المثال، والعكس صحيح تماما.

هذه التفاصيل التي نتعلّمها في الحياة مع التقدم في العمر والتجارب، نجدها تمثل دعامة مهمة في السرد الروائي، فاللباس يعرّف بالشخصية في النص تماما كما يفعل على المسرح. فهي ليست جزءا من جمالية الشخصيات فقط، بل تكشف عن العلاقة الوطيدة بين الملابس والحقائق الإجتماعية التي تحملها في طياتها.

الكاتب الأمريكي مارك توين قال ذات مرة: "الملابس تشكّل المرء. الأشخاص العراة لديهم تأثير ضئيل أو معدوم على المجتمع".

في النصوص كما في الحياة أيضا ارتداء الملابس وخلعها إجراء يسبق فعلا ما. كل أفعالنا مرتبطة بأنواع من الملابس، ونحن دون انتباه منا في حركة دائمة، نرتدي ونخلع أثوابنا، لتتناسب مع أفعالنا، حتى وإن كانت هذه الأفعال غير حقيقية، أولنقل تنكرية بالمعنى الصحيح للكلمة.

غالبا ما يهتم الأدب بالملابس كعلامة يجب فكّ رموزها، إذ يميل إلى التّشكيك في وظيفة الثوب ومعناه ودوره في السياق الإجتماعي

الذي يمر به. يقودنا الأدب إلى الحقيقة التي قد يخفيها الواقع عنّا. فالناس ممثلون بامتياز، أما عُدّة التمثيل فجاهزة دوما بما فيها "أثواب العراء".

سعى الأدب على مراحل متتالية وحقبات طويلة إلى الحصول على اعـتراف اجتماعي وأخلاقي يصعب الحصول عليه، من خلال التأرجح بين عرض الهوية وإخفائها. إذ تمكنت البراعة اللاهوتية في التحكم عن بعد في القصص الشعبي فجعلته محَمّلاً بتصاميم لأثواب العفّة، والتقوى. أستخدم الأدب وفق التغيرات الإيديولوجية لرسم شخصيات لها أثوابها الخاصة. ففي عالم الأدب اهتم الكُتّاب بأثواب شخصياتهم المبتكرة أكثر من أثوابهم الشخصية. إذ لم يهمهم أن تكون أثوابهم على الموضة بقدر ما رغبوا أن تكون مريحة ولائقة بأمزجتهم، قبل أن تأخذ مسارا مختلفا تماما اليوم، يجاري قواعد جمال الصورة من أجل متطلبات التسويق.

ومع هذا هناك كُتّاب تميزوا بما يرتدون. وتحوّل أسلوبهم في اللباس إلى نوع تمّ تسويقه. والأغرب اعتماد مصممي أزياء على شخصيات أدبية لابتكار أزيائهم، إذ أقيمت معارض مهمة عالميا في باريس ونيويورك مُسْتَلهمة من أعمال شعراء وروائيين تأثروا بهم.

خريف 2017 قدّم مصمم الأزياء ألكسندر ماكوين مجموعته مستمدًّا تقاطيعها من أثواب الكاتب أوسكار وايلد. وفي عالم الأزياء لم يكن ماكوين الوحيد المتأثر به، إذ يعتبر أكثر رجل من عالم الأدب تأثيرا في مصممي الأزياء.

سنة 1958 كتب ترومان كابوت روايته «ألماس على الأريكة»، والتي حوّلت إلى فيلم من بطولة الجميلة الأبدية أودري هيبورن، التي سحرت الجماهير بأزيائها. وكانت قد أوكلت لمصمم الأزياء هوبير دي جيفنشي، لكن النقاد دون إنقاص من حرفية جيفنشي أشاروا إلى أن ترومان كابوت هو الذي قام بتصميم نوعية لباسها وقدّمه جاهزا له.

في زمن مضى كانت أناقة الأدبـاء لافتة، البدلة ضرورية، مع سترة متناسقة مع القميص وربطة العنق، الحذاء لمّاع كأنه خرج للتو من مصنعه. تحضرني هنا أناقة الشاعر اللبناني أنسي الحاج، وكأنّه خارج من زمن آخر غير زمننا، شبيه أكثر بزمن رولان بارت، وألبير كامو، وغيرهم من الكتاب الذين التصقت صورهم بالأبيض والأسود في ذاكرتنا.

نجد هذه الشخصيات الرجالية الأنيقة في أدب مارغريت دوراس، إذ تملأ خزائن شخصياتها بألبسة غالية وجميلة، بالرغم من أنها كما قال رولان بارت في قراءة مظهرها "مستقلّة تماما عن نظام الموضة" هي أقرب إلى إهمال مظهرها، رغم انتقادها لأمها في هذه النقطة بالذات، لكن لعل تلك السنوات المبكرة من عمرها التي وصفتها في مذكراتها تركت بصمة أبدية ليس فقط في أدبها بل في طريقة حياتها أيضا.

في كل أدب دوراس نتقفّى أثر الفقر والمعاناة والظلم الذي تعرّضت له والدتها، وتذوقته مع أخوتها حدّ التخمة. حتى أنه يمكننا استخلاص صورة للفقر، بكل ما يرتديه من أسمال، بوسخه، وسحنته العابسة، وعريه الذي كما قال توين يفقد الشخص أي قيمة ليكون ذا فاعلية.

للتخلُّص من لعنة الفقر، تروي دوراس أنها غيّرت من مظهرها في أوج مراهقتها، كما استعملت الماكياج الفاقع، للفت النظر، وهذا ما حدث فعلا، لم يكن ما حدث لها وقوعا في الحب، كان دخولا إلى عالم آخر غير عالم والدتها، وكان نتاج تلك الخطة البسيطة على تغيير مظهرها البذرة الحقيقية لروايتها "العاشق" وقد أسمتها كذلك، لأنها لم تكن العاشقة، تقول بصريح العبارة: "لم أحبه، لكني أردت اختبار التجربة مثل كل النساء".

إن المُعتقِد أن موضوع اللباس والموضة موضوع تافهٌ لا يخص الأدباء والشعراء وأهل الثقافة فقد أخطأ. إن لبّ الفنون كلها يقوم على إعادة إنتاج ما نراه وما نعيشه من خلال احتكاكنا بالناس.

يحصر رولان بارت معنى الموضة في قوله أنها: "ليست ما ترتديه النّساء، بل هي أيضا ما نشاهده ونقرأه (نساء ورجالا). ابتكارات مصممي الأزياء قد ترضينا وقد تزعجنا، تماما مثل الروايات والأفلام، وكل ما يتعلّق بالمعتقدات والأحكام المسبقة والمشاعر وردات الفعل. قصّة المرء بأكملها قد يتم عرضها في بدلات شانيل وسراويل كوريج القصيرة".

وسواء شئنا أو أبينا فإن اللباس يسجّل حضورا قويا في حياتنا، وينعكس ذلك في كل فنوننا، وابداعاتنا، ولا أعتقد أني مخطئة إن قلت إنه أهم ركيزة لقراءة الموروث التاريخي والحضاري والهوياتي للإنسان.

في بيت العـــروس

أحمد المؤذن

قبل زمن صالات الفنادق ذات الخمس نجوم وبهرجة الأضواء الليزرية وأغاني نانسي عجرم ونجوى كرم وغيرهما من نجوم الفن وسرب الفراشات من أقارب وصديقات العروس وهن يتمختَرن في ملابسهن يتلألأن مثل النجمات، ما كنت أعرف بعد كيف هو بيت العروس وما هي العروس؟!

صديقي «عبود» نعتني بالأهبل وسط صبية الحي، ما رضيت لنفسي هذه الإهانة وقررت أن أتحداه، سأذهب إلى هناك وأكتشف كل شيء، أنا رجل ! يومها كان عرس ابنة مسؤول البلدية، كريمته "ليلى" تُزف إلى شاب من خارج قريتنا.

مدفوعاً بحماس تلك الطفولة البريئة، هرولت في الطرق الترابية، حيث وصلت إلى بيت العروس، يعجّ بالنساء والزغاريد والألوان والبخور لكن كيف أدخل؟ أمّ جمعة دميمة الوجه، ضخمة الجثة كانت تترصد الأطفال الذكور عند مدخل الباب الخشبي الكبير وتطردهم كما فعلت بي، فكيف أدخل؟. «عبود» سيجد الفرصة ويسخر مني ثانية و.. لا، لن أستسلم بسهولة هكذا دونما قتال.

لا بد من زاويةٍ ما في البيت أستطيع بلوغها وأدخل ..أريد رؤية العروس، وماذا تفعل النساء مثل هذا اليوم خلف السور؟ خلف البيت ها هنا مكان مناسب ولكن السورعال لا تقدر عليه سوى القطط. وجدت نافذة صغيرة يتسرب منها غناء النّسوة والفرح، يمكن بلوغ النافذة لكونها منخفضة نسبيا وبالقرب منها قدور العرس "يبقبـق" فيها الأرز وأخرى تفوح منها روائح اللحم، شهيّة الطعم أثارت جوعي لكني أريد رؤية العروس.

انتظرت الطباخة حتى انشغلت مع مساعدتها وهما تدخنان «الكدو»*. هنا فرصتي، لا بأس فأنـا أستطيع بلوغ النافذة وتحمل بعض الحرارة، حيثُ المسافة ما بين النار المشتعلة أسفل القدر والجدار ثلاثة اقدام فقط، أنا رجل قادر على التحمل وهكذا فعلت بشجاعة كما كنت أظن.

ياه ه ه ه، ما كل هذا! هذه أختي سلوى ترقص وهناك جارتنا أم غسان تضبط إيقاع علبة الصفيح وهذه تصفق وتلك تطلق الزغاريد، لكن أين العروس؟ فجأة التفتت نحوى أمي وشهقت، ارتبكت، كنت فرحاً وخائفاً وأريد الهرب، قفزت وثابتاً على الأرض صارت قدماي، لكن ما بال حرارة الجمر شوت قدمي اليمنى ؟! ليتني لم أورط نفسي في هذا التحدي الغبي، لذتُ بألمي بعيداً عن بيت العروس، أقاسي حرارة النار وأفكر في لسع خيزرانة أمي، فهي نارٌ أخرى تنتظرني !

---

* «الكدو»: أداة فخارية لها ساق من الخيزران يعلوها رأس خزفي يُحشى بالتبغ و يوضع فوقه الجمر، حيث تدخنه النساء في قرى البحرين.

ما قالته السحلية للفأر

جابر خمدن

ثلاث ليال ونحن نرقص ونعربد في هذا المكان. سمعت رب البيت يسميه مطبخاً. أسمع صوت أمرأة تقول له:

– الفئران تلعب بأعصابي، إن لم تجد لها حلاً، لن أدخل المطبخ.

– حبيبتي. لا تدعي هذه الفئران التافهة تُغير مزاجك، سوف أريك الليلة ماذا أصنع بها.

لم نفعل شيئاً نحن معشر الفئران سوى أننا نمارس حياتنا وطبيعتنا. فمثلا قبل ليلة، عندما أحضرت كيس الذرة ووضعته فوق الطاولة؛ قرضت الكيس وأكلت بضع حبات. إنها لذيذة جدا، لذلك أخبرت أخوتي وأخواتي، لم تمض إلا خمس دقائق، حتى اختفى وكأنه لم يكن، مزق من الكيس، وبقية أثار طحن تلك الحبوب الصفراء. لكن الليئمة ، وأعني زوجته الصلفة المتكبرة، استشاطت غضبا، حينما رأت آثار الهجوم الساحق، كانت غارة ليلية ناجحة، شبعنا واتخمت بطوننا الصغيرة.

المهم هذه غريزة فينا، نشمّ الطعام ونسعى إليه. الله القدير بحكمته زرعها فينا. بعض الأحيان نمارس بعض التمارين التي تبدو عبثية لصنف بني آدم، مثلاً قد أقرض خشبة الباب، وهذا ضروري من أجل شحذ أسناني، وكذلك هو تمرين وفيه متعة كبيرة.

تلك الغبيّة لا تعرف شيئاً عن متعة نشر الخشب أو قضم الفلين الأبيض. في جحري السابق، في البيت القديم، قضمت أسفل باب الغرفة، وبذلك صنعت بوابتي الخاصة بمقاسي، وحين يُغلق الباب، يبقى الأفق الداخلي مفتوحاً أمامي. المُهم، لقد نفذ زوجها تهديده، ربما من خوفه منها. لقد أحضر القطع الخشبية ووضعها أمام الباب، أربع قطع.

تلك الليلة وأنا أضحك مع أخوتي ونحن ننثر حبوب الأرز، في المخزن، أكلنا حتى الشبع ثم تركنا النثار هنا وهناك. أنا وجدت تفاحة قرب الثلاجة، فأتيت عليها، رائحتها نفاذة وطعمها سكري، لقد فتحت شهيتي. نازعتني أختي في بقيتها ولكني لم أعطها شيئاً، غضبت مني وأخذت تدعو عليّ بأن يصطادني الرجل وتخلص مني، أنا الأناني!

ها أنا الآن لاصق في هذه المصيدة الخشبية، وبجنبي سحلية ساذجة، لقد عثر بها الحظ، مثلي تماما. تحذرني أمي من الفخاخ والمصائد؛ دائما تقول لي:

فأرون، اسمع ياعيني، لاتقرب تلك الأقفاص الحديدية، سوف تجد فيها الجبن وربما العسل ولكن احذر تلك حيلة بني الإنسان.

طيبة أمي ومتفائلة، عاشت وتعيش عوالم قديمة، حينما كنا نسرح ونمرح في الحقول والدكاكين القديمة، مستودعات الحبوب وقاع السفن الخشبية الكبيرة، مؤونة لاتنتهي. ربيع وافر ومزهر بالأفراح والنعم. الحمد لرب السماء في علوّه. لقد غاب عن بال أمي، أن حقد الإنسان تطوّر، إنه الآن يصنع لنا أشرطة لاصقة، أخشاب مثل حقل لاصق. يا لك من مسكينة، لم تفكري بهذه الطرق الخبيثة. ها هو إبنك المدلل قد وقع فيها، وبدعوة مجابة من ابنتك الحمقاء. لم يخطر ببالي أن تنزلق رجلي في هذه القطعة اللامعة، كأنها زجاج وإذا به هلام لزج. لن أنسى كلمات تلك الحقودة وإيغار صدر زوجها علينا نحن البسطاء. اللعين أطاعها في نهاية الأمر وهذا شاهد جريمته النكراء، سحلية فقيرة وأنا الروح المسكينة، كلانا ضحيّة القوة الغاشمة والعبث. أحاول أن أقلب نفسي على الجانب الآخر، دون فائدة، رجلاي عالقتان، ذيلي غطس بالكامل في وحل الفتنة. ألا لعنة الله على من صنعها. هذه جريمة لاتغتفر بحق الحيوانات الصغيرة البريئة، أليس كذلك؟

كنت أخاطب السحليّة، لكنها لم تجبني، لقد لصق بطنها وبقي ذيلها يتحرك كأنه يد ممدودة تلوّح للآخرين. مسكينة، لقد قطّعت نياط قلبي. لو كان الزمن يجري وفق إيقاعه الأزلي، لربما كانت تزحف قربي وحينها أنقض عليها وأبتلعها. هي طعام الآيسين. طبعا هي حلال لنا رغم أني لا أستسيغها، ولكن للضرورة أحكام.

ماجدوى هذا الكلام ونحن رهينتا بطش ذاك المتهور.

أخيراً نطقت.. الكلمات تخرج حرفاً حرفاً من بوزها الكريه. أشحت بوجهي عنها. يالها من تافهة.

– اسمعي... نحن في خندق واحد، مصيرنا مشترك، لإن نجوت يمكنني إنقاذك، فلنضع خلافاتنا الوجودية في جانب، دعينا نفكر في مخرج.

– أنت السبب، هذه وضعت من أجلك، وأنتم أيها الفئران اللعوبة تستحقون أكثر.

بدأت تهاجمني وتشتمني وتخطيء بحق بني جلدتي، حنقت عليها، حاولت أن أميل قليلاً كي أعضها، لم أتمكن. فعلاً لعينة، بدل أن نُصبّر بعضنا بعضا، تلجأ إلى أسلوب الإنتقاص.

– حقا تستحقين أن تبقي هنا حتى تتعفني مكانك أيتها الوقحة، ألا تري شكلك المُقزز، أتحسبين أنك أفضل مني. أنت قذرة ومتعجرفة.

– يا فأرون.. أيها الأحمق المتبجح، أنت نتن بما فيه الكفاية، لا تغضبني أكثر، فأفضحك.

لقد تدفق الدم في عروقي وانتفخت أوداجي وددت لو أقضمها. التفت إليها وأنا غاضب :

– كفي عن هذه الثرثرة المقيتة، تبادل الاتهامات لن يزيدنا إلا هماً. رغم كونك ضعيفة، وأنت مجرد زاحفة متطفلة، ولكن يجب أن نفكر في الخلاص.

– نحن نزحف برشاقة على الجدران، لا نزعج الناس، نساهم في تنظيف المكان من الحشرات، أما أنتم، حثالة متسكعة، تلتهمون الأخضر واليابس.

– أتمنى لك إقامة دائمة، أيتها الوزغة السخيفة، تتبجحين بفضائل ليست لك. أنتم قوم دجالون، تبيعون الكذب، اعرفي قدرك ثم تكلمي ياحشفة الذل.

لم أتحدث معها،احتقرتها من أعماقي، خبيثة، لاتقل خبثا عن ذلك الأحمق. بدأت أفكر في طريقة خلاص. حاولت القفز، لم تسعفني قوتي، استجمعت قوتي، أردت أن أرفع جسمي، وقعت والتصقت أكثر، أنا الآن ملتصق الظهر، حتى ذيلي لم يسلم. وأخذت أحلم بأخواتي وأخوتي، أمي الحنون، التي لم تعهد هذا التطور الإجرامي في نوايا الإنسان، لم تتحدث يوما عن هذه الحيل والخدع، معذورة، في أيامها كان الإنسان رحيما كما تقول، أما الآن فقد غدا مترفعاً على كائنات الله، يبتكر الجديد لمحاربة أعداء وهميين. أبي الذي لم أره فرّ من بطش جاره، كان يحرق السحالي والفئران ويقذفها في البحر. متجبر.. وحش كاسر. بكيت كثيرا حتى غرقنا، جارتي صارت في لجة من دموعي وأنا أتذكر وأتحسر. في تلك اللحظات المصيرية، رأيت عوالم الإنس في أحطّ صورها، طافت عوالم المخلوقات الدنية في عقلي، كم نحن بسطاء وسادرون في طبيعتنا، تحركنا الغرائز، لو كنا نعقل ربما يتغير الأمر، قد نتفوق على هؤلاء البشر المتغطرسين. لكنها حكمة السماء،لم تشأ أن تلوثنا بالآثام. رق قلبي عليها وهي تغرق أمامي، حبست دموعي كي لا يزداد الأمر سوءاً. أظلم المكان، وهي تتنفس ببطء، لازلت أحلم بالفرج، أملي كبير أن هناك مخرج لا أراه. ونمت ونامت، ربما يئست.

فاضت عيناي وغرقنا مرة أخرى. أحلامي تتطاير مثل حبات قمح ذهبية، وأنا أتقافز وألتقطها وهي تسقط. فجأة، وأنا مبتل، طرت حتى صرت فوق المروحة، وأنا لازلت لاصقاً بها، وتحركت المروحة ببطء ثم جنّت، سقطت فوق وجهي، ضعفت قوة الصمغ، تحرر ذيلي، حركت جسمي، تسحبت قليلا حتى تمكنت من الفرار. اختبأت في جحر بعيد، فعلاً العالم الآن شديد الخطورة. حبائل ومكائد. الفأر العجوز عانقني وهو يؤمّن على كلامي:

– يا بني... احذر فقد غدا عالمنا مخيفاً، إن لم تنال منك مكيدة، متّ بالدخان، أو الماء، حتى الماء يمكن أن يصرعك. انتفضت أوصالي، كلامه لا يطمئن.

– وماذا نفعل، هل نبقى هنا للأبد؟

– لابد من مخرج، يجب علينا الإختباء نهارا، نمتطي الليل بحذر، نشرب بعيداً عن بني البشر، لاتأمن مكرهم، ماؤهم سمّ زعاف.

– صعب علينا أن نلاحق رزقنا ويلاحقونا.

– يابني، سوف يأتي عليهم زمن يخربون زرعهم وضرعهم. يومها تنكشف حقائق الوجود، ويُنتصر إلى الضعفاء مثلنا.

قلت له وقد تذكرت السحلية:

– وددت لو كانت معي تتنفس الحرية.

– من هي؟ هل هناك أحد غيرك؟

فسردتُ عليه القصة، رأيته غارقاً في الصمت وهو يضع رأسه بين ركبتيه.

حيــاة يتــوفــر فيهــا كــل شــيء

ما الذي يفعله الفن ما لم ينقذ أرواحنا في ظل خراب العالم؟ ما الذي يفعله الفن أمامنا، نحن مرضاه بكل أحلامهم ورغباتهم بكل خيباتهم وعقدهم؟ نحن حواريّوه الذين نصغي له أبداً، ونستسلم لخفته وعمقه كلما حاصرنا ألمٌ أو فقد. ما الذي يفعله حقاً ما لم يحاول البحث معنا عن الإجابات كما كان يشغلنا دائماً بالأسئلة؟

لأجل الأرواح التي ترّف متعبة في ظل خراب العالم، يأتي فيلم المخرج Peter Chelsom ليحاول الإجابة عن أكثر ما يحتاجه الإنسان، أكثر ما يشغله أيضاً، عبر سنوات حياته المتعاقبة على هذه الأرض جيلاً بعد جيل، الغاية التي يظل ينشدها مع كل تجربة، اللحظة التي نحاول اليوم توثيقها بالصورة في ظل عالم مأهول بالدم والخوف والكراهية. عن السعادة، عن الحُب، عن الشفاء.. عن كل ذلك يأتي فيلم «هيكتور والبحث عن السعادة» في تجربة سينمائية فريدة عبر شخصية طبيب نفسي، يبحث عمّا يجعل الناس سعداء، في محاولة منه لمساعدة مرضاه ليجدوا طريقهم نحو الشفاء.

وضحى المسجن

الطبيب الذي يسافر، يسجل ملاحظاته، يعايش بشراً مختلفين، محاولاً اكتشاف السعادة من وجهة نظرهم، الطبيب الذي يكتشف في رحلته أنه يعيش لأوّل مرة شعور الخوف والحب، يجرّب وجوده في حيوات تختلف عن حياته، يستسلم للرغبة والتلقائية والحنين، يتوقف عن الإجابة عن الأسئلة بسؤال آخر، يخرج عن دوره أخيراً، يتعقب نبوءة مريضته التي تجد في كفه خطاً لرحلة جديدة، فيطلق روحه لرحلة اكتشاف عبر سفره للصين ومعايشته لظروف مغايرة عما اعتاده في حياته.

لقد كان هيكتور مجرد طبيب نفسي، يعيش مكتفياً في حياته المنظمة، حياة يتوفر فيها كل شيء، لكنه يكتشف في رحلته أن حياة كحياته يتوافر فيها كل شيء هي في الواقع حياة ينقصها كل شيء، فكل حياة كحياته تسير فيها الأحداث وفق المتوقع، وكل شيء فيها يسير وفق الخطة الموضوعة سالفاً، حيث لا هفوات ولا ألم ولا انعطافات، لا غضب، لا تجربة جديدة.. هي باختصار حياة تسير نحو هاوية.

في فيلم «هيكتور والبحث عن السعادة» يضعنا الطبيب الباحث عبر ملاحظاته على درب السعادة، التي يجدها كامنة في ضرورة تقبّل الآخر، كما هو دون محاولة معرفة تفاصيل ماضيه، ويجدها مرةً في عدم مطاردة السعادة، ويجدها في عناية المرء بذاته، وفي أن تضع لك أهدافاً وتسعى لتحقيقها، لكن الأهم من ذلك كله أن الفيلم يحاول تفتيت القناعة التي تم تكريسها دائماً، وهي أن السعادة شيء يمكن انتظاره، وكأنها حاله ننتظر تحققها في المستقبل ويدعونا في المقابل الى الإيمان بفكرة بديلة، وهي أن السعادة شيء لا يمكن انتظاره.

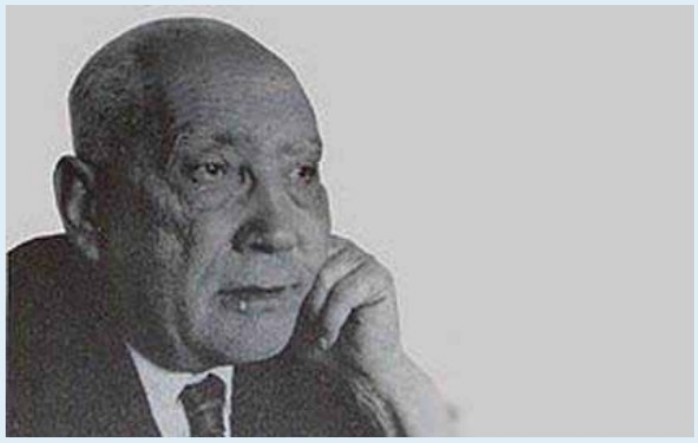

سنواتنا العشر القادمة

حين كان في الستين من عمره ألقي القبض على سلامة موسى بتهمة لفُقت ضده. لن نقف عند الحدث ولا عند التهمة، فهو رواها بشيء من التفصيل في سيرته الموسومة «تربية سلامة موسى»، لأن الرجل لم يفكر ساعتها كيف سيقضي مدة السجن، وإنما كيف سيقضي السنوات العشر المقبلة من عمره بأن وضع لنفسه برنامجاً من العمل والمسرات التي يصبو لنيلها خلال تلك الفترة، وقال ما قاله ابن سينا عن نفسه: «إني قوي القوى كلها»، وكان سلامة موسى يقصد أنه وهو في الستين لا يشعر بالوهن أو اليأس، إنما بالأمل.

ورغم أن الصورة التي رسمها للمستقبل القريب للعالم كما كان يراه في 1947، سنة القبض عليه، بدت صورة سوداوية، إلا أن ذلك لم يمنعه من أن يضع لنفسه برنامجاً متفائلاً لسنواته العشر المقبلة، التي قال بيقين إنه يطمع في عشر سنوات أخرى تليها مُعولاً على ما بلغه الطب من تقدم.

وضع الكاتب في أول البرنامج قراءة أو إعادة قراءة بعض الكتب التي تركت في نفسه شكوكاً أو شبهات، ومن ذلك رغبته في أن يقرأ كتاب "الغصن الذهبي" الذي قرأ له ملخصاً في نحو ألف صفحة، ولكنه يشعر بأن ذلك لا يغنيه عن الحاجة لقراءة مجلدات الكتاب كاملة وعددها عشرون مجلداً، فهو يشعر بأن "تربيته" ستبقى ناقصة إن لم يقرأه كاملاً.

ذكر موسى أسماء كتب أخرى لا مجال هنا لتعدادها، لكن اللافت رغبته، وهو في تلك السن، بأن يتعلم الذَرة حتى لو اقتضى الأمر استئجار مدرس.

أما لماذا الذَرة بالذات، فذلك لأن صاحبنا يرى أن خطورتها أكبر من أن يهملها رجل مثقف، ففي المستقبل حين تستغل الذرة لخدمة البشر بدلاً من قتلهم سوف يقسم التاريخ البشري إلى قسمين: ما قبل الذرة، وما بعدها.

قال أيضاً إنه يريد التعمق في "البيولوجيا" و"السيكولوجيا"، وهما من غرام شبابه الأول، لكنه يرغب في أن يزداد فيهما نضجاً، ووعد بأنه لن يكف عن كتابة الكتب «المقلقة» كي تكون خمائر صغيرة يبعثها في مصر وسائر أقطار العرب كي يزعزع التقاليد السود ويحرق العفن.

ثمة أمنية جميلة أخرى: أن يقضي آخر عمره في الريف يصادق الشجر ويتحدث إلى النجوم ويُحيي الشمس في الصباح ويضحك مع الماء حين يجري، لأن "من واجب من يعيش في الدنيا أن يرى الدنيا».

ح. م

الوطني والعالمي في الثقافة

قبل سنوات تحاور اثنان من أهم وجوه أوروبا الفكرية والإبداعية، باتا اليوم في ذمة اللّه. الأول قامة أدبية كبرى تتوجت مسيرته بنيل جائزة نوبل للآداب، والثاني قامة سوسيولوجية مهمة، هما الألماني جونتر جراس والفرنسي بيير بورديو.

د. حسن مدن

وعلى اختلاف حقلي اهتمامهما، جمع بينهما الموقف النقدي الواضح والصريح مما بات يعرف ب«الليبرالية الجديدة»، التي تفرّعت إلى نسخ ونماذج مختلفة في المجتمعات الأوروبية، بعضها وصل حد الشوفينية والعنصرية.

التاريخ يشهد على ما بين فرنسا وألمانيا من حروب. البلدان تقاتلا وسفك أحدهما دماء الآخر، حتى القطرة الأخيرة تقريباً، على نحو ما يعبر جراس، وما زال ممكناً، حتى اليوم، رؤية جراح حربيهما العالميتين والحروب الأخرى العائدة إلى القرن التاسع عشر، رغم كل المحاولات التي بذلها ويبذلها البلدان لتخطي آثار ذلك.

الرجلان اللذان يقفان على أرضية فكرية واحدة، لا يحاولان، في هذه المحاورة أن يعودا إلى التاريخ، وإنما يحاولان تحليل، كل من موقعه ومن مجال عطائه، أزمة أوروبا الراهنة، وإن عادا إلى التاريخ فمن باب استخلاص الدرس والعبرة، ورد ظواهر اليوم إلى مسبباتها، بما في ذلك جذورها التاريخية.

أزمة أوروبا تكمن في التراجع عن تراث التنوير، الذي بات محاصراً بشركات ووسائط إعلامية متعددة الجنسيات

أزمة أوروبا، كما يريان، تكمن في التراجع عن تراث التنوير، الذي بات محاصراً بشركات ووسائط إعلامية متعددة الجنسيات تملك قوة هائلة وتسيطر على كل زاوية إلا من بضعة جيوب محاصرة. وحتى في عالم النشر، تتزايد صعوبة إنتاج كتب نقدية ملحة يوماً بعد يوم، وهذه الجيوب المحاصرة هي نفسها التي اتفق جان زيجلر وروجييه دوبريه، في محاورة شبيهة بينهما، على وصفها بالجزر الصغيرة في محيط استهلاكي هائل الموج.

التنوير يواجه محنة في كل مكان اليوم. الحال في بلداننا العربية والإسلامية شاهد على ذلك، ورغم أن تراثنا التنويري يعد نزراً صغيراً بالقياس للتنوير الأوروبي، إلا أن جهود رواد شجعان على جبهتي الفكر والثقافة من دعاة التجديد الديني والفكري، حققت منجزات على أهمية تاريخية كبرى. لكن الكثير من هذه المنجزات تلاشى، والمخاطر تتهدد ما بقي لها من آثار، أمام الموجات الأصولية والمذهبية وما إليها منفلتة العقال في لحظتنا التاريخية الراهنة.

محنة التنوير الأوروبي على ما يشير جراس وبورديو تشمل، في ما تشمل، تحييد الدولة عن سلطتها في تنظيم المجال الاجتماعي ومسؤوليتها عن المهمشين والمستبعدين من عملية الإنتاج أو الذين لم ينخرطوا فيها بعد. وإذا كنا نعاني في عالمينا العربي والإسلامي من ظلامية مرعبة رأينا تجلياتها في تنظيمات مريعة مثل «داعش» و«القاعدة» والحواضن التي منها خرجت، فإن الرجلين يحذران أوروبا مما يصفانه ب«ظلامية حداثية»، قد تكون الليبرالية الجديدة عنواناً مموهاً لها.

لا يعيد الرجلان اكتشاف العجلة حين يدعوان إلى إصلاح حركة التنوير بمناهج التنوير ذاتها. ومع اختلاف الظروف فإن هذا يصح علينا أيضاً.

والحديث الآن لا يدور حول عولمة كونية واحدة تجتاح العالم، مع أن هذا صحيح من حيث الجوهر، فما زال للرأسمالية مركز وأطراف، وما زالت الهيمنة معقودة للمركز إذا ما عدنا لأطروحة سمير أمين، وإنما أيضاً عن "عولمات" مختلفة، أو في عبارة أخرى نسخ متعددة للعولمة. فهي إذ تجتاح العالم من أقصاه إلى أقصاه، وتبلغ، ولو بوتائر مختلفة، حتى أكثر أطرافه عزلة، فإنها حين تتفاعل مع المكونات الثقافية المحلية في أي مجتمع أو لدى أي أمة تجد نفسها محمولة على تكييف أدائها بما تفرضه خصائص هذه المكونات المحلية.

العلاقة هنا تفاعلية إلى حد كبير، حتى لو لم يكن التفاعل متكافئاً، فمما لا شك فيه أن قوانين التدويل العالمي أقوى بكثير من الخصائص المحلية لأي مجتمع، وبالتالي فإن قدرتها على تكييف المحلي لشروطها أقوى، لكن هذه القدرة ليست كلية، إذ لا يعني ذلك، كما تدل التجربة، عجز المحلي من الخصائص على حمل آليات العولمة على أن "تتكيف" معها، فنكون إزاء ما يجوز وصفه بالهجين، الذي هو ناتج اتحاد وتفاعل أكثر من عنصر. حيث يستحيل، لا في عالم اليوم المترابط، المتشابك، المتداخل، ولا عبر التاريخ كله، الحديث عن ثقافة «صافية»، خالية من التأثر بالثقافات الأخرى، وهذا لا يقلل من «أصالة» أي ثقافة، خاصة حين يجري النظر إلى أن الثقافة هي إرث للبشرية كلها.

قد تحمل مفردة "الهجنة" شحنة من الدلالات السلبية، حين توضع كمقابل للأصالة. لا يخلو الأمر من تعقيدات. ثمة مخاطر الهيمنة الغربية، التي، من خلال ما عُرف بالمركزية الأوروبية، سعت إلى تهميش ثقافات البلدان والشعوب التي تعتبرها «أطرافاً»، لإظهار تفوق مفترض للثقافة الغربية على الثقافات الأخرى التي تعتبرها أقل أهمية . وثمة مخاطر التعصب القومي في الثقافات الواقعة خارج «المركز» الأوروبي، التي تكابر في الإقرار بأن الثقافات هي في حالة تفاعل، لا في حالة تضاد.

نعم، ثمة تواريخ ثقافية مستقلة، على الصعد القومية والوطنية الخاصة بكل شعب أو أمة، يتعين تحريرها من نزعات الشعور بالدونية التي أملاها المركز الغربي عليها، ومن المشاعر الشوفينية التي يمكن أن تدفع للتزمت والتعصب وربما للعنف أيضا.

بعض الدراسات الفكرية الحديثة التي جرى التعارف على وصفها بدراسات ما بعد الكولونيالية، وجهت عنايتها لدراسة تواريخ الثقافات غير الأوروبية، ملاحظة أن التوسع الأوروبي وإخضاع الأمم والشعوب المختلفة خارج أوروبا للهيمنة الاستعمارية سمحا ل"الإغارة" على التقاليد المعرفية للثقافات الأخرى، وفتح المجال لاختبارات قسرية للثقافة الغربية على بيئات غير أوروبية، بل وتدمير التقاليد التي يمكن أن تكون نداً محتملاً للنموذج الغربي في التنمية والتطور الثقافي، الذي يمكن أن يكون منتجاً للجهل، مخاطره جلية في تهديد الجنس البشري وتدمير الطبيعة.

واحة الفكر

انطونيو غرامشي

هشام عقيل

يعد غرامشي أحد أهم القادة الشيوعيين بعد لينين في أوروبا القرن العشرين. كان قائداً للحزب الشيوعي الإيطالي وأصبح رمزاً للنضال ضد الفاشية. بعد محاكمته في ١٩٢٦، قال المدعي العام: "علينا أن نشل هذا العقل عشرين عاماً". في السجن الفاشي كان عقل غرامشي أكثر اشعاعاً من أي وقت مضى.

نظرياً، له العديد من المساهمات ولا يمكن حصرها بشكل مبسط وهي تتفاوت في المراحل المختلفة: من الهيمنة، إلى فلسفة البراكسيس، والآيديولوجيا العضوية والمثقف العضوي، والأمير الحديث، وحرب المواقع/حرب المناورة، والكتلة التاريخية، إلخ. شكّلت هذه المساهمات تدخلاً نظرياً وسياسياً في زمن طغت فيه الانتهازية السياسية على الحركة الاشتراكية، وتمثلت نظرياً بالاقتصادوية والحتمية.

أمام مفاهيم جامدة مثل هذه، طرح غرامشي فلسفة البراكسيس («الإرادة الاجتماعية ضد الحتمية الميكانيكية»، «تشاؤم العقل، تفاؤل الإرادة"). من هنا قام بحياكة مفاهيم سياسية كالقيادة الطبقية وكتلة السلطة، والتوازن والتحالف واللاتوازن الطبقي (القيصرية، الثورة السلبية، إلخ..)، وفي ذلك رأى الحركة السياسية لا كشيء يعتمد على الاقتصاد مباشرة؛ بل علم بحد ذاته. لكن – في ذات الوقت لم يخلُ هذا التدخل من اخطاء نظرية وفلسفية مثل: التاريخانية، والمفهوم المثالي للهيمنة، والتعريف الخاطئ علمياً للفلسفة. ومع ذلك يبقى إرثه مليئاً بالإنجازات النظرية والسياسية التي لا بد من دراستها والدفاع عنها.

من جانب، نجد بأن لمفهوم الهيمنة عند غرامشي عدّة مستويات التي قد تشير إلى الهيمنة الطبقية (بمثل المعنى الذي أعطاه لينين للكلمة) في بعض الأحيان، ولكنها في (دفاتر السجن) تُشير إلى صيغة غريبة من أمرها تجعل من الهيمنة تركيباً ما بين الهيمنة والقوة. المقصود بهذه الفرضية هو أن القوة (أو الجانب القمعي من الدولة) تُشكل لحظة من لحظات الدولة، وفي مثل الوقت تُشكل الهيمنة (أو المجتمع المدني) لحظة القبول الاجتماعي في العلاقة الخاصة التي تجمع الطبقة المسيطرة بالطبقات المسيطرة الأخرى ومعها الخاضعة؛ وهي تتجسد في أجهزة ملموسة معينة يسميها أجهزة الهيمنة (الجهاز التعليمي، والكنيسة، والنقابات، والبرلمان، إلخ). وهذا بدوره يؤدي إلى تركيب ما: الدولة – الهيمنة التي تخلف طابعها على القوة، من حيث أن الدولة – الهيمنة لا تظهر كجهاز قمعي عنيف بل كجهاز مصمم للقبول الاجتماعي.

ما ينقص هذا المفهوم هو الأسس المادية لفهم دور "أجهزة الهيمنة" هذه، وحسب تعبير آلتوسير: "يا ترى بماذا تعمل أجهزة الهيمنة تلك التي يتحدث عنها غرامشي؟

على الهيمنة نفسها؟". إضافة إلى ذلك، يصبح مفهوم الهيمنة هنا تكراراً للمثالية الفلسفية الهيغلية، إذ تتبع السببية التمثيلية من حيث كل شيء يحصل كتمظهرات الهيمنة نفسها.

تمثل التاريخانية التي أشاد بها غرامشي شكلاً آخر من مثل النزعة المثالية في الفلسفة، رغم أنها ناتجة عن ردة فعل تجاه التحريفية الانتهازية والميكانيكية للأممية الثانية. هذا ما كان يعنيه غرامشي في (الثورة ضد رأس المال)، إذ كان يُشير إلى الثورة الروسية التي تخالف المنطق الميكانيكي لإنجيل اسمه (رأس المال)؛ فإنها إرادة الجماهير هي التي تخلق الأحداث لا القوانين الميكانيكية في النصوص.

يُعطي غرامشي الماركسية أهمية في براكسيس التاريخ نفسه، ايّ دورها العملي في تشكيل التاريخ؛ وترجع الأسبقية هنا إلى الفعل العملي، والعمل السياسي، والإنخراط في التاريخ، والثورة، بدلاً من "ماركسية الكتب" أو لنقل – إن صحّ التعبير – "الأرستقراطية الماركسية".

على المادية التاريخية، حسب غرامشي، أن تكون "تاريخية" بينما "المادية" لا تعدو كونها مقولة ميتافيزيقية. إذن، يقوم غرامشي بموازاة مفهوم العلم النظري نفسه بالموضوع الفعلي له. مرة اخرى، يحاول غرامشي أن يناقض هيغل دون أن يبتعد عنه كثيراً؛ أمام المعرفة المطلقة ونهاية التاريخ يطرح غرامشي "التاريخانية المطلقة" التي تجعل من التاريخ بلا جوهر حقيقي يعبر عن لحظاته التاريخية، إنما تاريخ متحرك له لحظات متحدة في راهنيتها التاريخية، ايّ النسبوية التاريخية. من هنا ايضاً نجد مصدر التعريف غير العلمي للفلسفة وعلاقتها بالعلم، إذ الماركسية التي هي فلسفة البراكسيس حسب غرامشي لا يُمكن أن تكون علماً، إذ كل العلوم المعاصرة تعبر عن راهنية التاريخ الرأسمالي، بل إنها العمل اليومي العملي الحقيقي الذي يناقض هذه الراهنية. ولكن كما بيّن لينين أن الحقائق المطلقة هي عبارة عن سلسلة من الحقائق النسبية، ولكنها تبقى مطلقة؛ وهذا ما رفضه غرامشي.

في مثل الوقت، حاول الكثيرون استغلال إرث غرامشي النظري الغني معرفياً لطمس روحه الثورية (إما بفعل التناقضات التي يبرزها نصه النظري، وإما بفعل متعمد لتبرير الانتهازية السياسية). فاحتفظوا بما قاله عن «حرب المواقع»، وهي استراتيجية طويلة المدى تهدف إلى التغيير الاجتماعي عبر الهيمنة المضادة في أجهزة الدولة، وفي مثل الوقت تفادوا كل ما كتبه حول الديموقراطية العمالية القاعدية، ايّ أنهم اظهروه بمظهر برلماني بيروقراطي لا ثوري. في حقيقة الأمر، المفتونون باستراتيجية حرب المواقع عند غرامشي يفهمونها بالطريقة الكاوتسكية. إذ أن كاوتسكي هو أول من فرق ما بين «استراتيجية الاستنزاف» و«استراتيجية الهجوم المفتوح» (وهذا تناص لفظي بين مفكرين ليس إلا، وفي ذلك رأى بأن الزمن تجاوز الثانية لصالح الأولى، ايّ أنه زمن الصراع البرلماني فقط. إذا كانت حرب المواقع، أيّ سلسلة من الصراعات التي هدفها ضمان قيادة أو هيمنة العمال، هي ضرورية عند غرامشي فإن هذا لا يعني بأنها منفصلة عن حرب المناورة؛ وهي الصراع المباشر مع البورجوازية حول السلطة. وكل شيء عند غرامشي يعتمد على كيفية تحويل الأولى إلى الثانية.

إن ثورية غرامشي هي الإرث الحقيقي الذي ينبغي أن نحافظ عليه وندافع عنه.

مقبلٌ موعد
المهرجان الذي
نكتبُ الآن تاريخه

■ الشهيد سعيد العويناتي

التقدمي

التقدمي العدد 166 ـ سبتمبر 2021 السنة التاسعة عشر SDPA 499

رئيس التحرير: د. حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي ـ سكرتير التحرير: عيسى الدرازي

عصفورة أفغانية

هدى حاجي

صديقتي لاجورد
عصفورة أفغانية
تبكي كل ليلة
خلف أضلاع النافذة
دمعاتها تغسلها من الحزن
تصعد مع آهاتها لتلتصق بالقمر الحزين
تسطع في لألآته فوق التلال و القرى و العواصم
تلك اللمعانات هي أشواق السجينات
ذلك النور المنسكب هو نظرتهنّ الحالمة
العالم لا يعرف أنّ ذلك البريق هو دموع نساء أفغانيات
أُقْتُلِعت عيونهنّ
وُضِع في محاجرهن زئبق حارق من الصبر
العالم لا يعلم أنّ أجنحتهن المسبوكة
من أسلاك الشمس
انكسرت
انغرزت بدلا منها آلاف السكاكين

Lajward sirat

المواد التي تحمل أسماء كتابها لا تعبر بالضرورة عن رأي المنبر التقدمي ص. ب: 21461 ت: 17780007 Altaqadomi.bh@gmail.com